بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت
كلية الدراسات الفقهية والقانونية
قسم أصول الدين

آيات
الطغيان في القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)
Tyrancy Verces In Quran Kareem
Thematic Study

إعداد الطالب
محمد صبحي سليمان مسعود
الرقم الجامعي : ٠٠٢٠١٠٥٠٠٩

بإشراف
الأستاذ الدكتور زياد الدغامين

٢٠٠٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آيات
الطغيان في القرآن الكريم
" دراسة موضوعية "

Tyrancy Verces In Quran Kareem

Thematic Study

إعداد الطالب

محمد صبحي سليمان مسعود

الرقم الجامعي : ٠٠٢٠١٠٥٠٠٩

بإشراف

الأستاذ الدكتور زياد الدغامين

أعضاء لجنة المناقشة التوقيع

١. الأستاذ الدكتور الفاضل :زياد الدغامين رئيساً ومشرفاً .....

٢. الأستاذ الدكتور الفاضل: أحمد شكري عضواً .....

٣. الدكتور الفاضل : سامي عطا عضواً .....

٤. الدكتور الفاضل : عماد خصاونة عضواً .....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين من كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت – الأردن .

نوقشت وأوصى بإجازتها / تعديلها / رفضها بتاريخ

/ / ٢٠٠٦م

/ / ١٤٢٧م

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الإهداء

إلى روح والدي ... رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه ...

إلى أمي الغالية التي لهجت بالدعاء وبذلت ما في وسعها لإكمال دراستي

إلى عمي الغالي (أبو دعاء و عائلته)

إلى إخواني في الله في كل زمان و مكان

أهدي رسالتي هذه

الباحث

محمد مسعود

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى المربي الفاضل وأستاذي المتواضع الدكتور زياد الدغامين ، الذي غمرني بلطفه ، وصبره ، ونصحه ، ومتابعته ، وتحمله أعباء الإشراف على هذه الرسالة ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر إلى لجنة المناقشة الموقرة :

الأستاذ الدكتور الفاضل : أحمد شكري - حفظه الله -

والدكتور الفاضل : سامي عطا - حفظه الله -

والدكتور الفاضل : عماد خصاونة - حفظه الله -

لتفضلهم بقبول مناقشتي لما فيه الخير والصواب ، وإنني على استعداد لسماع نصائحهم وتوجيهاتهم الخيرة والمثمرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

محمد مسعود

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	٣
شكر وتقدير	٤
فهرس المحتويات	٥
ملخص الرسالة	٧
المقدمة	٨
تمهيد : مفهوم الطغيان في اللغة والقرآن الكريم	١٣
المطلب الأول : الطغيان في اللغة	١٣
المطلب الثاني : مفهوم الطغيان في القرآن الكريم	١٥
المطلب الثالث : ألفاظ مقاربة لمعنى الطغيان في القرآن الكريم	١٨
الفصل الأول : أسباب الطغيان ومظاهره ومجالاته	٢١
المبحث الأول : أسباب الطغيان	٢٢
المطلب الأول : الشعور بالاستغناء	٢٢
المطلب الثاني : التبعية المذمومة	٢٧
المطلب الثالث : حب الأبناء الفاسدين	٢٩
المطلب الرابع : العناد والجحود	٣١
المبحث الثاني : مظاهر الطغيان	٣٣
المطلب الأول : كثرة الفساد	٣٣
المطلب الثاني : تكذيب الرسل واتهامهم بالسحر والكهانة والشعر والجنون	٣٤
المطلب الثالث : قتل الأنبياء والمؤمنين وإيذاؤهم	٣٧
المطلب الرابع : الكفر بالآيات والمعجزات	٤٢
المبحث الثالث : مجالات الطغيان	٤٤
المطلب الأول : الطغيان السياسي (طغيان السلطة)	٤٤
المطلب الثاني : طغيان البصر	٤٥
المطلب الثالث : الطغيان في الرزق	٤٦
المطلب الرابع : الطغيان في الميزان	٤٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني : صنوف الطغاة	٥٣
المبحث الأول : طغيان الشيطان	٥٤
المبحث الثاني : طغيان قوم نوح عليه السلام	٥٧
المبحث الثالث : طغيان قوم صالح عليه السلام	٦٠
المبحث الرابع : طغيان فرعون وقومه	٦٣
المطلب الأول: طغيان فرعون	٦٣
المطلب الثاني: طغيان قوم فرعون	٦٧
المبحث الخامس : طغيان اليهود	٧٠
الفصل الثالث : مواجهة الطغاة وعاقبتهم	٧٤
المبحث الأول : مواجهة الطغاة	٧٥
المبحث الثاني : عاقبة الطغاة	٨٢
المطلب الأول : عاقبة الطغاة في الدنيا	٨٢
المطلب الثاني : عاقبة الطغاة في الآخرة	٩٤
الخاتمة	١٠٠
أولاً : قائمة المصادر	١٠١
ثانياً : قائمة المراجع	١٠٤
الملخص باللغة الإنجليزية	١٠٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الرسالة

تناولت هذه الدارسة موضوع الطغيان في القرآن الكريم ، فلقد وقفت مع الآيات التي ذكرت مادة (طغى) واشتقاقاتها وتصريفاتها في القرآن الكريم ، وبينت أن هذه المفردة ، واشتقاقاتها وردت تسعاً وثلاثين مرة في القرآن الكريم .

كما بينت أن معنى الطغيان في اللغة : هو مجاوزة الحد المقبول ، أو مجاوزة الحد في العصيان أو الكفر ، وذلك بعد الرجوع إلى أمهات كتب معاجم اللغة .

وبعد استقرائي للآيات التي ذكرت مادة طغى واشتقاقاتها تبين لي أن الطغيان له أسباب ومظاهر ومجالات ، ومن هذه الأسباب التي تؤدي إلى الطغيان : الشعور بالاستغناء ، فالإنسان يطغى ويتجبر إن رأى نفسه أنه مستغن عن خالقه ، ومتى أحس من نفسه قدرة وثروة وعلماً . ومنها التبعية المذمومة ، سواءً أكان تابعاً ، أم متبوعاً لغيره ، ومنها حب الأبناء الفاسدين ؛ لأن الإفراط في حب الآباء لأبنائهم الفاسدين قد يقودهم إلى متابعتهم والرضا بما يفعلونه ، ومنها العناد والجحود حيث يجعل الطغيانُ الإنسانَ يجحد الحق وينكره ، وينأى عن طريق الإيمان ليتجاوز حدّه في الكفر والعصيان .

أما المظاهر التي تظهر على جوارح الطغاة وسلوكهم فكثرة الفساد في البلاد ، وتكذيب الرسل واتهامهم بالسحر والكهانة والشعر والجنون ، وإيذاء وقتل الأنبياء والمؤمنين ، والكفر بالآيات والمعجزات.

أما المجالات أو الميادين أو الأنواع التي تدخل في ميدان الطغيان فهي كثيرة ومتعددة فيدخل الطغيان في المجالات السياسية ، والأخلاقية ، والاقتصادية ، والاجتماعية .

أما في دراستي لآيات الطغيان فقد تحدثت عن الطغيان السياسي ، وخاصة طغيان السلطة ، والطغيان في الميزان ، والطغيان في الرزق ، وطغيان البصر .

وأن هذا الطغيان قد ينتج عن أفراد أو جماعات ، وتطرقت إلى منهجية التعامل مع هؤلاء الأفراد والجماعات الذين يتجاوزون حدّهم من خلال القرآن الكريم .

وبينت هذه الرسالة سنة الله تعالى في إنزال العقاب بالطغاة ، إما في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما. وتحدثت الرسالة عن الطاغوت من الناحية اللغوية ، وأقوال المفسرين في المقصود بالطاغوت ، والرأي الراجح عندهم ، كما دعت الرسالة في النهاية إلى ضرورة العودة إلى القرآن الكريم ؛ لاستنباط الدروس والعبر مما حل بهؤلاء الأفراد أو الجماعات الذين تجاوزوا حدهم .

وأخيراً فإن هذه الرسالة هي ليست تكراراً لما سبق ، بل هي مكملة وداعمة لجهود علمائنا وأساتذتنا الأفاضل .

والحمد لله رب العالمين

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصـــمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد والصـــلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد :

فلقد تنوعت الكتابات والدراســات في موضــوع الطغيان ، لما لهذا الموضــوع من أهمية حيث أصبحت الأمة الإسلامية تعيش في ظروف حالكة ؛ فقد انتشر الظلم والاستبداد والبغي في كثير من البلدان ، فأحببت أن أكتب عن موضــوع الطغيان من خلال القرآن الكريم ؛ لأن القرآن الكريم فيه الحل الناجع لكثير من مصـــائب الأمة ؛ فالمتمعن في كتاب الله عز وجل يرى أن القرآن الكريم قد تحدث عن صنوف الطغاة ، وبين بعض المظاهر والأسباب التي تؤدي إلى وجوده ، وأوجب على المســلمين مواجهة الطغاة ، وذكر أن العاقبة ســتكون لهم ، أما الطغاة فتوعدهم الله بشــتى أنواع العذاب في الدنيا ، وفي الآخرة .

- مبررات اختيار الموضوع :

وتبرز أهمية اختيار الكتابة في هذا الموضوع فيما يأتي :

١. تعريف المسلمين بحقيقة الطغيان من خلال القرآن الكريم .
٢. التعرف على الأسباب التي تؤدي إلى الطغيان .
٣. التعرف على مصــير ونهاية الطغاة في الدنيا وما يعيده الله لهم من عذاب في الآخرة .
٤. استنباط الدروس واللطائف والعبر من خلال الآيات التي ذكرت مصطلح الطغيان

- جعلت الدراســة متخصــصــة في موضــوع الطغيان من خلال القرآن الكريم لعدة أمور منها :

١. لعدم الإطالة في هذا الموضـــوع حيث تحدث القرآن الكريم عن الطغيان بشكل عام ، مثل: الفساد والبغي والاستكبار في كثير من السور القرآنية .
٢. لحاجة الأمة الماسة لهذا الموضوع بسبب الواقع المرير الذي تعيشه .

- أدبيات الدراسة :

لا شك أن الدراسات في موضوع الطغيان كثيرة جداً ، ومن الدراسات التي قد تكون قريبة من بحثي :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. (الطغيان في سورة القصص) وهي عبارة عن رسالة ماجستير حصلت عليها الطالبة نفيسة بنت طاهر من جامعة آل البيت بإشراف الدكتور حسيب السامرائي ، ولكن هذه الرسالة اقتصرت على سورة واحدة وهي سورة القصص ، ولم تشمل القرآن كله .

٢. (إن فرعون علا في الأرض) وهذا الكتاب عبارة عن مقالات تحدثت عن صنف واحد من الطغاة ممن تحدث عنهم القرآن الكريم ، وهو فرعون الطاغية ، ولم يتحدث الكتاب عن الصنوف الأخرى للطغاة مثل : قوم نوح وثمود وقريش وأهل الكتاب ، علماً أن الدكتور محمد أبو فارس جعل الكتاب من الدراسات العامة للإسلام ، وليس من الدراسات القرآنية الموضوعية.

ولكن هذه الرسالة هنا ليست تكرار لما سبق بل هي مكملة وداعمة لجهود علمائنا الأفاضل.

- مشكلة البحث :

تجيب هذه الرسالة عن بعض التساؤلات منها :

١. هل الطغيان له حقيقة ثابتة في القرآن الكريم .
٢. هل هناك منهجية واضحة المعالم للتعامل مع الطغاة وفسادهم .
٣. هل لهذا الواقع المليء بالطغيان من علاج .
٤. ما هي أهم الدروس والعبر التي تستنبط من الآيات التي ذكرت الطغيان .

- حدود المشكلة :

لابد من التذكير هنا على أن رسالتي هذه ستتميز بأمور منها :

١. أن الرسالة ستكون في ضوء القرآن الكريم فقط .
٢. أن الموضوع سأقتصره على الناحية التفسيرية الموضوعية لمصطلح الطغيان .

- منهجية البحث :

أم المنهج الذي سأسير عليه في بحثي فهو كما يلي :

١. تحديد الجذر الثلاثي لكلمة طغيان .
٢. أخذ معنى الجذر الثلاثي من أمهات كتب اللغة ومعاجمها الأساسية .
٣. متابعة ورود الجذر الثلاثي واشتقاقاته في القرآن الكريم .
٤. ربط المعنى اللغوي للمصطلح القرآني مع الاستعمال القرآني .
٥. ربط المصطلح مع السياق الذي ورد فيه ، وبيان تناسق المصطلح مع الآية التي ورد فيها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦. الإطلاع على تفسير الآيات التي أوردت المصطلح من أمهات كتب التفسير .
٧. ملاحظة البعد الواقعي للمصطلح القرآني .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الهيكل التنظيمي للبحث :

هذا وقد اشتملت الدارسة على مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة .

أما التمهيد : فاحتوى على مطالب ثلاثة :

المطلب الأول : مفهوم الطغيان في اللغة .

المطلب الثاني : مفهوم الطغيان في القرآن الكريم .

المطلب الثالث : ألفاظ مقاربة لمعنى الطغيان في القرآن الكريم .

أما الفصل الأول : فكان بعنوان أسباب ومظاهر ومجالات الطغيان في القرآن الكريم وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ذكرت فيه أسباب الطغيان ، وبينت الأسباب التي تؤدي إلى وجوده .

المبحث الثاني : بينت فيه مظاهر الطغيان ، والنتائج التي تظهر على جوارح وسلوك الطغاة .

المبحث الثالث : أوضحت فيه مجالات الطغيان .

أما الفصل الثاني : فكان بعنوان صنوف الطغاة ، وفيه بينت صنوفهم ، وقد قسمته إلى خمسة مباحث :

المبحث الأول : طغيان الشيطان وتحدثت فيه أن سبب طغيان الشيطان هو الاستكبار .

المبحث الثاني : طغيان قوم نوح عليه السلام حيث بينت فيه أهم مظاهر طغيانهم وفسادهم .

المبحث الثالث : طغيان ثمود قوم صالح عليه السلام وقد بينت فيه سبب طغيانهم وأهم مظاهر طغيانهم .

المبحث الرابع : طغيان فرعون وقومه وقد قسمته إلى مطلبين وهما :

المطلب الأول : طغيان فرعون ، وبينت في هذا المطلب أسباب طغيان فرعون ، وأهم مظاهر الفساد

في حكم فرعون، وأن فرعون يمثل ظاهرة قد تتكرر على مر الأزمنة والأمكنة .

المطلب الثاني : طغيان قوم فرعون ، وقد بينت فيه التبعية الضالة لفرعون .

المبحث الخامس : طغيان اليهود ، حيث بينت فيه أهم مظاهر طغيانهم .

أما الفصل الثالث : فكان بعنوان مواجهة الطغاة وعاقبتهم ، وقد قسمته إلى مبحثين :

المبحث الأول : مواجهة الطغاة ، وبينت فيه أن مواجهة الطغاة قد تكون بالقول اللين وهو الأصل

وإذا لم ينفع اللين جاز الإغلاظ معه ضمن الضوابط المحددة شرعاً .

المبحث الثاني : وبينت فيه عاقبة الطغيان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي النهاية ما كان في الرسالة من خير وصواب فهو من توفيق الله سبحانه وتعالى وما كان من خلل أو تقصير فهو من نفسي ومن الشيطان .

وأسأل الله تعالى أن يلهمني الصواب ، ويجنبني الزلل والخطأ في القول والعمل في كتابة هذه الرسالة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد : مفهوم الطغيان في اللغة ، والقرآن الكريم

المطلب الأول : الطغيان في اللغة :

الطغيان : مشـتق من الجذر الثلاثي " طغى " ، ولام الفعل ، إما أن تكون منقلبة عن واو أو ياء ، فيقال : طغوْت وطغيْت[١] .

قال ابن فارس : " الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس ، وهو مجاوزة الحد في العصيان "[٢] .

وأطغاه المال والسلطان : جعله طاغياً[٣] .

وطغى الماء والبحر : ارتفع وعلا على كل شيء فاخترقه[٤] .

وطغى الدم : أي تبيّغ[٥] .

وطغى السيل : إذا جاء بماء كثير[٦] .

وطغى فلان : غلا في الكفر ، وأسرف في المعاصي والظلم[٧] .

والطاغية : الصاعقة[٨] .

والطاغية : الجبّار العنيد الأحمق المستكبر[٩] .

والطغْية : المسْتصعبِ من الجبل أو الصفاة الملساء[١٠] .

وسمعت طغْي فلان : أي صوته[١١] .

والطغيان : الاعتداء في حدود الأشياء ومقاديرها[١٢] .

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) ، **كتاب العين** ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م ، ج٣ ، ص٥٢ .

(٢) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، (ت ٣٩٥هـ) ، **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق عبد السلام هارون ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـ -١٩٩١م ، ج٣، ص ٤١٢.

(٣) أحمد حسن الزيات وآخرون ، **مجمع اللغة العربية** ، ط١ ، مطبعة المكتبة العلمية ، طهران ، ج٢ ص٥٦٥ .

(٤) أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، **لسان العرب** ، ط ٣ ، دار أحياء التراث ، بيروت ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ج٨ ، ص١٧٠ .

(٥) ابن فارس ، **معجم مقاييس اللغة** ، ج٣ ، ص٤١٢ ، والتبيغ : هو هيجان الدم .

(٦) الزيات ، **مجمع اللغة العربية** ، ج٢ ، ص٥٥٩ .

(٧) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، **تاج العروس** ،ط١،دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، ج١٠،ص٢٢٤.

(٨) ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج٨ ، ص١٧٠ .

(٩) **المصدر ذاته** ، ج٨ ، ص١٧٠ .

(١٠) **المصدر ذاته** ، ج٨ ، ص١٧٠ .

(١١) ابن فارس ، **معجم مقاييس اللغة** ، ج٣ ، ص٤١٢ .

(١٢) الزبيدي ، **تاج العروس** ، ج١٠ ، ص ٢٢٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والطاغوت : تاؤها زائدة وهي مشتقة من الطغيان .[١٣]

- إذا تأملنا في معاني طغى عند علماء اللغة فإننا نستخلص ما يلي :

١- أنهم اتفقوا على أنّ الجذر الثلاثي لكلمة (طغى) إما أن تكون لام الفعل ، منقلبة عن واو أو ياء . فيقال : طغى طُغيانا ، أو طغو طُغْواناً .

٢- أنّ الطغيان إما أنْ يكون مادياً أو معنوياً[١٤] ، فالمادي كالطغيْة : المستصعب من الجبل وطغى الدم : أي تبيّغ ، وطغى الماء .

أما الطغيان المعنوي : فكقوله تعالى: { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى }[١٥] ، وقوله تعالى : {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى }[١٦] .

٣- أنّ الطغيان لا يخرج عن أحد معنيين ، هما :

أ- الطغيان : مجاوزة الحدّ في العصيان أو الكفر ، وهو أكثر استعماله في اللغة العربية والقرآن الكريم[١٧] ؛ فكل من أسرف في الظلم ، أو غلا في الكفر ، أو اعتدى فهو طاغٍ لأنّ الإسراف معناه في اللغة : تعدّي الحد[١٨] ، والغلوّ معناه : مجاوزة الشيء والزيادة[١٩] والاعتداء في الشيء : مجاوزة الحد والقدْر والحق[٢٠] .

ب- الطغيان : مجاوزة الحد المقبول[٢١] ، كقوله تعالى : { إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء }[٢٢] .

---

(١٣) ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج٨ ، ص١٧٠ .

(١٤) الزبيدي ، **تاج العروس** ، ج١٠ ، ص٢٢٤.

(١٥) سورة النازعات ، آية ١٧ .

(١٦) سورة العلق ، آية ٦ .

(١٧) عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، **التفسير البياني للقرآن الكريم** ،ط٤ ،دار المعارف ،مصر ،١٩٧٤م ج١،ص١٤٣.

(١٨) ابن فارس ، **معجم مقاييس اللغة** ، ج٣ ، ص١٥٣ .

(١٩) أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين (ت٧٥٦هـ) ، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** ، ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ج٣ ، ص ٢٠٧ .

(٢٠) ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج٩ ، ص٩٢ .

(٢١) الزيات ، **مجمع اللغة العربية** ، ج٢ ، ص ٥٦٥ .

(٢٢) سورة الحاقة ، آية ١١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : مفهوم الطغيان في القرآن الكريم :

قال الإمام الدامغاني : " الطغيان يأتي في القرآن الكريم ضمن الاستعمالات والسياقات التالية[٢٣] :

الوجه الأول : الطغيان بمعنى الضلالة ، ومن الأمثلة التي ذكرها على ذلك ، قوله تعالى في سورة البقرة : { وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }[٢٤] يعني في ضلالتهم يترددون . وكقوله تعالى في سورة يونس : { فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }[٢٥] أي : ضلالتهم ، وكقوله تعالى في سورة ق : { رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ }[٢٦] أي : ما أضللته ، وكقوله تعالى في سورة الصافات : { بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَاغِينَ }[٢٧] يعني : ضالين ، ومثلها في سورة ص : { وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ }[٢٨] .

الوجه الثاني : الطغيان بمعنى العصيان ، كقوله تعالى في سورة طه : { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى }[٢٩] يعني : إنه عصى ، ونظيرها في سورة النازعات ، وأيضاً قوله تعالى في سورة طه : { وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ }[٣٠] يعني : ولا تعصوا الله .

الوجه الثالث : الطغيان : الارتفاع والكثرة ، كقوله تعالى في سورة الحاقة : { إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء }[٣١] يعني : ارتفع وكثر .

الوجه الرابع : طغى يعني : ظلم وكذب ، كقوله تعالى في سورة النجم : { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى }[٣٢] يعني : لا ظلم ولا كذب . وفي سورة الرحمن : { أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ}[٣٣] أي : لا تظلموا في الميزان .

---

(٢٣) أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت٤٧٨هـ) ، **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز** ، تحقيق عربي عبد الحميد علي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣م ، ص ٣٢٣-٣٢٤ .

(٢٤) سورة البقرة ، آية ١٥ .

(٢٥) سورة يونس ، آية ١١ .

(٢٦) سورة ق ، آية ٢٧ .

(٢٧) سورة الصافات ، آية ٣٠ .

(٢٨) سورة ص ، آية ٥٥ .

(٢٩) سورة طه ، آية ٢٤ .

(٣٠) سورة طه ، آية ٨١ .

(٣١) سورة الحاقة ، آية ١١ .

(٣٢) سورة النجم ، آية ١٧ .

(٣٣) سورة الرحمن ، آية ٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الوجوه الأربعة التي ذكرها الإمام الدامغاني في كتابه الوجوه والنظائر ، إذا أمعنا النظر فيها نجدها لا تتعارض مع النتيجة ، والخلاصة اللغوية التي ذكرتها ، وهي : أنّ الطغيان: هو مجاوزة الحد في العصيان أو الكفر .

أما قوله (الدامغاني) : أنّ الطغيان يأتي بمعنى : الظلم والكذب ، كقوله تعالى : { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى }[٣٤] وقوله تعالى : { أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ }[٣٥] فالظلم عند علماء اللغة ، كما يقول الفيروز آبادي : " يقال في مجاوزة الحق ، ويقال في الكثير والقليل "[٣٦] .

ويقول ابن منظور : " الظلم وضع الشيء في غير موضعه ... ، وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد "[٣٧] ، ويقول السمين الحلبي في كتابه " عمدة الحفاظ " : الظلم مجاوزة الحد ويقال فيما يقلُّ ويكثر من التجاوز"[٣٨] . أما القرطبي فيقول " الطغيان تجاوز الحد في الظلم والغلو فيه ، وذلك أن الظلم منه صغيرة ، ومنه كبيرة فمن تجاوز منزلة الصغيرة ، فقد طغى"[٣٩]. فمعنى الظلم لا يتعارض مع النتيجة التي ذكرتها وهي أن الطغيان هو مجاوزة الحد في العصيان أو الكفر.

- وقد ذكرت مادة (طغى) واشتقاقاتها في القرآن الكريم : تسعاً وثلاثين مرة[٤٠] ، ضمن السياقات والاستعمالات الآتية[٤١] ، حسب الخلاصة اللغوية :

١- في معنى تجاوز الحد المقبول : مرتين على النحو التالي :

أ- طغيان الماء : (طغى) .

قال تعالى : { إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ }[٤٢] .

ب- طغيان الصيحة : (الطاغية) .

---

(٣٤) سورة النجم ، آية ١٧ .

(٣٥) سورة الرحمن ، آية ٨ .

(٣٦) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** ، تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ج٤ ، ص٢٨ .

(٣٧) ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج٨ ، ص ٢٦٣ .

(٣٨) السمين ، **عمدة الحفاظ** ، ج٣ ، ص١٠ .

(٣٩) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ط١ ، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م ،ج ٥ ، ص١٢٧ .

(٤٠) محمد فؤاد عبد الباقي ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، ط١ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ص٥٤٢ .

(٤١) بنت الشاطئ ، **التفسير البياني** ، ج١ ، ص ١٤٣ .

(٤٢) سورة الحاقة ، آية ١١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى : { فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ }[٤٣] .

٢- في معنى تجاوز الحد في العصيان والكفر: سبعة وثلاثين مرة، كقوله تعالى:{ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ }[٤٤] وقوله تعالى : { وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً }[٤٥] ، وقوله تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ }[٤٦] .

- إذا أمعنا النظر في الاستعمالات القرآنية لمادة (طغى) يتبين :

أ- أنّ معظم ما ورد في القرآن الكريم من استعمالات مادة (طغى) جاء بسياق تجاوز الحد في العصيان والكفر .

ب- أنّ معظم ما ورد في القرآن الكريم من مفردات طغيان ، هو من قبيل الطغيان المعنوي ، أما الطغيان المادي ؛ فقد ورد مرتين في سورة الحاقة قال تعالى : { فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ }[٤٧] ، وقوله تعالى : { إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ }[٤٨] .

ج- أنّ الطغيان قد يصدر عن أفراد ، كقوله تعالى : { قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ }[٤٩] وقوله تعالى : { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى }[٥٠] وأيضاً قد ينتج الطغيان ويصدرعن جماعات ومجموعات ، قال تعالى : { الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ }[٥١] وقال تعالى : { وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }[٥٢] .

د- أنّ الطغيان سنّة من ُسنن الاجتماع البشري ، وهي صفة يمارسها الطغاة ، ليبعدوا الناس عن منهج الله وشريعته ، ولكن مهما تعددت صنوفهم ومذاهبهم ، وطرقهم في إيذاء المؤمنين ؛ فالعقاب قادم لا محالة إما في الدنيا ، وإما في الآخرة ، أو في الدارين معاً .

هـــ- جاء الطغيان في القرآن الكريم على أنه أمر غير مرغوب فيه ، وفيه غلبة وقهر ، وأنه أمر مذموم .

وخلاصة المعنى القرآني لمفهوم الطغيان يقوم على أساس معناه في اللغة ، فيراد به تجاوز الإنسان حدّه وقدره ، وحدّ الإنسان هو ما حدّه الله له من حدود لا يجوز أن يتجاوزها وقدر الإنسان

---

(٤٣) سورة الحاقة ، آية ٥ .

(٤٤) سورة الفجر ، آية ١١ .

(٤٥) سورة الكهف ، آية ٨٠ .

(٤٦) سورة النحل ، آية ٣٦ .

(٤٧) سورة الحاقة ، آية ٥ .

(٤٨) سورة الحاقة ، آية ١١ .

(٤٩) سورة ق ، آية ٢٧ .

(٥٠) سورة النازعات ، آية ١٧ .

(٥١) سورة الفجر ، آية ١١ .

(٥٢) سورة البقرة ، آية ١٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو قدره بإعتباره عبداً لله تعالى فتلزمه طاعة سـيّده ومولاه ، وبقاؤه في نطاق العبودية له ، فإن تجاوز ما حدّ الله تعالى للإنسـان من حدود لا يتجاوزها أو تجاوز قدره وقع في المعصـية والتمرد على الله"[٥٣] .

و- أن الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله تعالى سواءً أكان شخصاً أم صنماً أم وثناً برضاه .

المطلب الثالث : ألفاظ مقاربة لمعنى الطغيان في القرآن الكريم :

- ورد في القرآن الكريم ألفاظ مقاربة لمعنى الطغيان ، ومن هذه الألفاظ :

أ- الاسـتكبار : مأخوذ من الِكْبر ، والِكبْر يأتي في القرآن الكريم بمعنى البعد ، والتجاوز عن الحد .[٥٤]

والاستكبار : هو أن يتشبّع الإنسان فيظهر من نفسه ما ليس له[٥٥] قال تعالى : { إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْـتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ }[٥٦] وقال تعالى : { فَأَمَّا عَادٌ فَاسْـتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ }[٥٧] وقال تعالى { وَمَن يَسْـتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْـتَكْبِرْ فَسَيَحْشُـرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً }[٥٨] وقال تعالى { وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً }[٥٩] .

من خلال هذه الآيـات وأقوال أهل اللغـة يتبين أنّ الاسـتكبـار والطغيـان بينهمـا علاقـة فالاستكبار هو سبب من أسباب الطغيان . وأنّ الطاغية متكّبر ، ومتعال على الحق ، بسبب حب ذاته ، و تكبره على الآخرين .

ب- البغي : جاء في لسان العرب : " اصل البغي مجاوزة الحد "[٦٠] .

والبغي : شـدة الطلب ، ومنه يقال : دفعنا بغي السـماء خلفنا : أي شـدة مطرها . وقيل في قوله تعالى : { وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ }[٦١] أنه يريد الترؤس على الناس بالغلبة والاستطالة[٦٢] .

---

(٥٣) عبد الكريم زيدان ، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية** ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ص١٩٤ .

(٥٤) الفيروزآبادي ، **بصائر ذوي التمييز** ، ج٤ ، ص٣٢٥ .

(٥٥) الفيروزآبادي ، **بصائر ذوي التمييز** ، ج٤ ، ص٣٢٥ .

(٥٦) سورة البقرة ، آية ٣٤ .

(٥٧) سورة فصلت ، آية ١٥ .

(٥٨) سورة النساء ، آية ١٧٢ .

(٥٩) سورة نوح ، آية ٧ .

(٦٠) ابن منظور ، **لسان العرب** ،ج١ ، ص٤٥٧ .

(٦١) سورة الأعراف ، آية ٣٣ .

(٦٢) الفيروزآبادي ، **بصائر ذوي التمييز** ، ج٢ ، ص٣٢٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- وخلاصة القول : أنَّ البغي هو تجاوز الحد في الاستكبار ، والاستعلاء على الآخرين بالغلبة والاستطالة ، وهو قريب من معنى الطغيان الذي يعني : مجاوزة الحد الذي فيه غلبة وقهر. يقول السمين الحلبي : " وكل موضع ذكر فيه البغي فلا بد من معنى المجاوزة فيه "[٦٣] .

ج- العتو : المبالغة في المكروه فهو دون الطغيان . والطغيان : مجاوزة الحد في المكروه مع غلبة وقهر ، قالوا : كل مبالغ في كبر أو كفر أو فسادٍ ، فقد عتا فيه ، ومنه قوله تعالى { بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ }[٦٤] أي : المبالغة في الشدة ومنه قوله تعالى { عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا }[٦٥] يعني : أهلها تكبروا على ربهم فلم يطيعوه .[٦٦]

د- العلو: من علو ، الذي يدل على السمو والارتفاع . وأما العلوُّ : فالعظمة والتجبّر يقولون : علا الملك في الأرض علواً كبيراً .[٦٧]

والعلو يأتي على نوعين : نوع محمود ، إذا كان في الرّفعة والشرف ، ونوع مذموم إذا كان في التجبّر والاستحلال[٦٨] . قال تعالى : { وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى }[٦٩] وهذا يحتمل الأمرين . والعلو ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع فعلاً وصفةً ومصدراً .

قال تعالى : { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً }[٧٠] وقال تعالى : { وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ }[٧١] .

وقال تعالى : { وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً }[٧٢] ، وقال تعالى : { وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً }[٧٣] ، وقال تعالى : { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً }[٧٤] .

---

(٦٣) السمين ، **عمدة الحفاظ** ، ج١ ، ص٢١٣ .

(٦٤) سورة الحاقة ، آية ٦ .

(٦٥) سورة الطلاق ، آية ٨ .

(٦٦) أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت٤٠٠هـ) ، **الفروق اللغوية** ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ط١ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ص٢٥٨ .

(٦٧) ابن فارس ، **معجم مقاييس اللغة** ، ج٤ ، ص١١٢-١١٣ .

(٦٨) الفيروزآبادي ، **بصائر ذوي التميز** ، ج٤ ، ص٩٦ . والاستحلال : عده حلالاً .

(٦٩) سورة طه ، آية ٦٤ .

(٧٠) سورة القصص ، آية ٤ .

(٧١) سورة يونس ، آية ٨٣ .

(٧٢) سورة الإسراء ، آية ٤ .

(٧٣) سورة الإسراء ، آية ٧ .

(٧٤) سورة النمل ، آية ١١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من خلال النظر في الآيات وأقوال أهل اللغة تبين لي ان الاســـتعلاء والطغيان بينهما علاقة واضحة ؛ فالذي يستعلي على خلق الله تعالى فهو طاغٍ مجاوز للحد ، فالاستعلاء صفة بارزة من صفات الطغاة الذين طغوا في الأرض .

وأيضــاً فإن الذي يســتعلي على الناس فهو باغ ومســتكبر ، فقد جاوز حدّه في الاســتكبار والاستعلاء على الآخرين بالغلبة والقهر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول :

أسباب الطغيان ومظاهره ومجالاته

المبحث الأول : أسباب الطغيان .

المطلب الأول : الشعور بالاستغناء .

المطلب الثاني : التبعية المذمومة .

المطلب الثالث : حبّ الأبناء الفاسدين .

المطلب الرابع : العناد والجحود .

المبحث الثاني : مظاهر الطغيان .

المطلب الأول : كثرة الفساد .

المطلب الثاني : تكذيب الرسل واتهامهم بالسحر والكهانة والشعر والجنون .

المطلب الثالث : قتل الأنبياء والمؤمنين و إيذاؤهم .

المطلب الرابع : الكفر بالآيات والمعجزات .

المبحث الثالث : مجالات الطغيان .

المطلب الأول : الطغيان السياسي (طغيان السلطة) .

المطلب الثاني : طغيان البصر .

المطلب الثالث : الطغيان في الرزق .

المطلب الرابع : الطغيان في الميزان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول :
أسباب الطغيان

تمهيد :

الأسباب في اللغة[٧٥] جمع سبب ، وهو الحبل ، وإطلاقه في الأصل على الحبل الذي يتوصل به إلى الماء ، ثم استعير لكل ما يتوصل إلى غيره ، فلفظ " سبب " هو الأصل في الدلالة على كون شيء سبباً لشيءٍ آخر ؛ فالطغيان له أسباب لكي يظهر ، ومن خلال استقرائي لآيات القرآن الكريم- التي ذكرت مادة " طغى " واشتقاقاتها - تبين لي أن الطغيان ناجم عن عدة أسباب هي :

المطلب الأول : الشعور بالاستغناء :

قال تعالى : { كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ۞ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى }[٢] .

يروى أن سبب نزول هذه الآيات ما أخرجه مسلم ،عن أبي هريرة ﷺ قال : " قال أبو جهل : هل يعفِّر محمدٌ وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقيل : نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ، أو لأعفِّرنّ وجهه في التراب ... ، فأنزل الله : { كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى } "[٣] .

تخبرنا الآيات عن الإنسان سواءً أكان أبا جهل أم غيره ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما قرره علماء الأصول . أن الإنسان يطغى ويتجبّر، إن رأى نفسه أنه مستغنياً عن خالقه ، فيخرج عن حدّه ويتجاوزه إلى الكفر والمعاصي .

- وقف المفسرون عند معنى (استغنى) فكان رأيهم كالآتي :

أ- الرأي الأول : الاستغناء : (شدة الغنى) ، فالسين والتاء فيه للمبالغة في حصول الفعل .

وإلى هذا الرأي مال بعض المفسرين ، كابن كثير ، والقرطبي ، وابن عاشور ، قال ابن كثير : " يخبر الله تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان ، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله ... "[٤] .

وقال القرطبي: "{أَن رَّآهُ} أي : لأن رأى نفسه استغنى؛ أي : صار ذا مالٍ وثروة "[٧٦].

---

(٧٥) ابن منظور ، **لسان العرب** ، ح٦ ، ص١٣٩ .

(٢) سورة العلق ، آية ٦-٧ .

(٣) رواه مسلم ، **في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم** ،باب قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ ،حديث٢٧٩٧،ج٤،ص٢١٥٤.

(٤) أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت٧٧٤هـ) ، **تفسير القرآن العظيم** ، اعتنى به أحمد الزعبي ، ط١ ، دار الأرقم ، بيروت ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ج٤ ، ص٦٩٥ .

(٧٦) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج٢٠ ، ص١٢٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال ابن عاشور : " الاستغناء : شدة الغنى ، فالسين والتاء فيه للمبالغة في حصول الفعل ، مثل : استجاب واستقر، والإنسان ليطغى لرؤيته نفسه مستغنياً ، وعلة هذا الخلق أن الاستغناء تحدث صاحبَه نفسه بأنه غير محتاجٍ إلى غيره ، وأن غيره محتاجٍ فيرى نفسه أعظم من أهل الحاجة ، ولا يزال ذلك التوهم يربو في نفسه حتى يصير خلقاً ، حيث لا وازع يزعه من دين ، أو تفكير صحيح ؛ فيطغى على الناس لشعوره بأنه لا يخاف بأسهم "[٧٧] .

ب- الرأي الثاني : الاستغناء : " ضد الاحتياج "[٧٨] .

وإلى هذا الرأي مال بعض المفسرين : كالطبري ، والبقاعي .

قال الطبري : " الإنسان ليتجاوز حدّه ، ويستكبر على ربه ، فيكفر به ، لأن رأى نفسه استغنت "[٧٩] . وقال البقاعي : " هذا هو الطبع الغالب في الإنسان متى استغنى عن شيء عمي عن مواضع افتقاره ، فتغيرت أحواله ، وتجاوز فيه ما ينبغي الوقوف عنده ، ومن كان مفتقراً إلى شيء كان منطاعاً له"[٨٠] . وقد مالت بنت الشاطئ لهذا القول ؛ بل خطأت من قال بغير هذا القول ؛ فقالت : " وليس الطغيان عن استغراق في حب المال والجاه كما تأوله بعض المفسرين ولكنه بصريح النص عن وهم الإنسان الاستغناء عن خالقه "[٨١] . وقد استشهدت بأدلة قرآنية على أن الغنى قد يأتي في القرآن الكريم ، بمعنى الاستغناء : ضد الاحتياج ، كما في قوله تعالى : { أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى }[٨٢] . هذا الشعور بالاستغناء[٨٣] عن الخالق ناجم عن عدة أسباب هي : أولاً : القوة : إذا اغتر الإنسان بقوته ؛ فإنه يخرج عن حدّه وقدره ، ويؤدي به إلى الطغيان والظلم . قال محمد عبده : " إن الإنسان يطغى ويخرج عن الحد الذي يجب عليه أن يقف عنده فيستكبر عن الخشوع لربه ، ويتطاول بالأذى على خلقه ، وذلك { أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى } أي : متى أحسّ من نفسه قدرة وثروةً ، يعد نفسه بهما فوق من دونه من الناس "[٨٤] .

---

(٧٧) محمد الطاهر بن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ط١ ، الدار التونسية ، تونس ، ١٩٨٤م ، ج٣٠ ، ص ٤٤٤- ٤٤٥ .

(٧٨) بنت الشاطئ ، **التفسير البياني** ، ج٢ ، ص٢٥ .

(٧٩) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، **جامع البيان في تفسير القرآن** ، ط١ ، المطبعة الأميرية ، مصر ١٣٢٩هـ ، ج٣٠ ، ص١٦٣ .

(٨٠) أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ج٨ ، ص٤٨٣ .

(٨١) بنت الشاطئ ، **التفسير البياني** ، ج٢ ، ص٢٥ .

(٨٢) سورة عبس ، آية ٥ .

(٨٣) فضل حسن عباس ، **خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة** ، ط٣ ، دار الفرقان ، عمان ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ص١٥٢ .

(٨٤) محمد عماره ، **الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده** ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج٥، ص٤٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حدثنا القرآن الكريم عن بعض النّاس ممن اغتروا بقوتهم فطغوا وتجبّروا ، أمثال عاد قوم هود عليه السلام ، قال تعالى : { فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً }[٨٥] فهم يتباهون ويتفاخرون بقوتهم ، بل ينكرون وجود من هو أقوى منهم ، ولكنّ الله تعالى ردّ عليهم بقوله : { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ }[٨٦] ، ومن الأمثلة أيضاً فرعون الذي اغتر بقوته العسكرية وجيوشه الجرارة فطغى ،قال تعالى : {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ}[٨٧]. قال القرطبي : " أي : الجنود والعساكر والجموع التي تشد ملكه "[٨٨].

ونماذج الذين اغتروا بقوتهم المادية كثيرة في القرآن الكريم ، وهذه النماذج تتكرر في كل زمان وفي كل مكان ، قال فضل عباس : " إننا لنرى اليوم نماذج كثيرة من أولئك الطغاة أفراداً وأمماً ، الذين غرتهم قوتهم ، فظنوا أنّ هذه القوة المادية هي كل شيء ، فطغوا محاولين أن يخضعوا كل إرادة لأغراضهم ،وأهدافهم ،ومصالحهم ،وأن يتحكموا في مقدرات الآخرين .[٨٩]

ثانياً : المال :

أنعم الله على هذه البشرية بأن رزقهم المال ليصلحوا حياتهم ومعاشهم ، ولكن انقسمت نظرة الناس إلى المال إلى فريقين : - الفريق الأول : شكر الله تعالى على نعمة المال ، ونظر إلى المال على أنه وسيلة يتقوّى به العبد ، وليس غايةً ، فتصدّق ، وأنفق في سبيل الله ، قال تعالى : " { فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ }[٩٠] ، وقال تعالى عن المؤمنين : {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً }[٩١] .

- الفريق الثاني : اغتر بنعمة المال ؛ فظن أنّ ما أعطيه من مال ، إنما هو لفضله واجتهاده في كسبه ، ونسي أنّ الله هو المنعم ، وهو الرازق ، وهو المعطي ، وظنّ أنه قد استغنى بهذا المال عن الله عز وجل ، وهذا الظن أدى به إلى الطغيان وتجاوز الحد .

قال الطبرسي: " { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى } أي : يتجاوز حدّه ويستكبر على ربه ، ويعدو طوره ، { أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى } أي : لأن رآه نفسُه مستغنيةً عن ربه بعشيرته وأمواله وقوته "[٩٢].

---

(٨٥) سورة فصلت ، آية ١٥ .

(٨٦) سورة فصلت ، آية ١٥ .

(٨٧) سورة الفجر ، آية ٥ .

(٨٨) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج٢٠ ، ص٤٨ .

(٨٩) عباس ، **خماسيات مختارة** ، ص١٥١-١٥٢ .

(٩٠) سورة النمل ، آية ٣٦ .

(٩١) سورة الإنسان ، آية ٨-٩ .

(٩٢) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، **مجمع البيان في تفسير القرآن** ، تحقيق هاشم المحلاتي ، ط١ ، دار المعرفة بيروت ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م ، ج١٠ ، ص٧٨٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال فضل عباس : " إن هيمنة المال على صاحبه وشعوره بالاستغناء تدفع به إلى الترف ، والترف مظهر اجتماعي نجده في كثير من المجتمعات التي ضعف فيها الوازع الديني والخلقي ، وهذا الترف ينقل صاحبه إلى حالة نفسية من الهوج والهوس ، وفي حالة أشبه بالمرض إن لم تسكنه ، وهذه الحالة هي التي سماها القرآن الكريم بطراً ، وهذا البطر هو دهشةٌ تعتري النفس من سوء احتمال النعمة وعدم القيام بحقها ، وهذا ينشأ كما قلت عن الترف الذي هو التوسع في النعمة ، كما أن هذا البطر هو الذي يؤدي بصاحبه إلى الطغيان ؛ لأنه خفةٌ تحمل صاحبها على أن يتجاوز الحد الذي أعدّ له ، ورحم الله امرءاً عرف حدّه فوقف عنده ، وليس معنى هذا أن كل مال أعطيه الإنسان تكون نتيجته الترف والبطر والطغيان ، بل إنّ كثيراً ممن أنعم الله عليهم لم تزدهم النعم إلا شكراً "[٩٣] . من الأمثلة التي تحدث الله عنها في كتابه ممن اغتروا بمالهم فأطغاهم قارون ، فقارون أوتي من الأموال والكنوز الطائلة ، لكنّه لم يؤد حق النعم بل بغى وتجبر وطغى.

قال تعالى : { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ }[٩٤] .

ثالثاً : العلم : قال فضل عباس : " ولعلك تعجب أن يكون العلم سبباً من أسباب الطغيان ، فإذا كان ذلك في المال والقوةِ أمراً ظاهراً ، فكيف يكون العلم الذي يقاس به تقدم الأمم ورقيها ، كيف يكون سبباً من أسباب الطغيان ؟ ولكن إذا عرفت أن العلمَ وهو نعمةُ الله العظمى على الناس نعمةُ الله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، أقول : إذا عرفت أن هذا العلم إنما ينضبطُ بالإيمان حينما تدرك أن الفضل فيه لله وحده أدركت أنه هو العلم النافع ، أما إذا فصل هذا العلم عن الإيمان فإنه سيكسب صاحبه بطراً ، هو أكثر سوءاً من البطر الناشئ من المال والقوة "[٩٥] . " والإنسان يتجاوز الحدود المشروعة حين يرى نفسه غنياً بالعلم وأدواته كالمختبرات والمصانع ويظلم من هو دونه ، بقسوة وضراوة "[٩٦] . " حدثنا القرآن الكريم عن بعض من اغتروا بسبب علمهم ، كقوله تعالى : { وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً }[٩٧] ، فأهل الكتاب

---

(٩٣) عباس ، **خماسيات مختارة** ، **ص١٥٠** .

(١) سورة القصص ، آية ٧٦ .

(٢) عباس ، **خماسيات مختارة** ، ص ١٥٢.

(٣) محمد جواد مغنية ، **التفسير الكاشف** ، ط٣ ، دار العلم ، بيروت ،١٩٨١م ، ج٧ ، ص٥٨٨ .

(٤) سورة المائدة، آية ٦٤.

(٥) أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين الرازي (ت٦٠٦هـ) ، **مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير** ، ط١ ، دار إحياء التراث بيروت ، ١٤٢٥هـ - ١٩٩٥م ، ج١٢ ، ص٣٩٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علموا أن الرسول ﷺ حق ، وأنه هو النبي الخاتم ، وأن دينه وشريعتهُ هي من عند الله عز وجل ، ولكنّهم لم يذعنوا للحق وإنما ازدادوا طغياناً وتجاوزاً وكفراً وحسداً من عند أنفسهم ، وأنكروا نبوة الرسول ﷺ بعد ظهور الدلائل على صحتها ، لأجل الحسد ، وحب الجاه ، والمال ، والسيادة "[٩٨] . هؤلاء اليهود والنصارى قد جاءتهم البينات ، وعرفوا أن الدين الإسلامي هو الدين الحق ولكنهم رفضوا اتباع الرسول ﷺ حسداً من عند أنفسهم ، هؤلاء أعطاهم الله تعالى العلم ، فأنزل عليهم التوراة والإنجيل فكفروا وطغوا حتى من ادعى منهم العلم والمعرفة لم يؤمن بالرسول ﷺ إلا ما كان من بعضهم ، فقد أسلم ، وحسن إسلامه ، كعبد الله بن سلام وغيره .

هؤلاء اليهود والنصارى وصلوا إلى درجة عالية من التقدم الحضاري والمعرفي في عصرنا هذا ولكن هذه المعرفة كانت وبالاً على أصحابها والآخرين واستخدمت في التخريب والتدمير والبغي والفساد والعدوان . وهذا قارون اغتر بماله وعلمه ، فقد وعظه أهل العلم أن لا يغتر ولا يطغى ، ولكنه رد عليهم بقوله : { إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي }[٩٩] ، وأيضاً الرجل الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها قال تعالى : { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ }[١٠٠]. وما أجمل ما قاله سيد قطب في تفسير هذه الآية ! حيث قال : " فهو (أي : الذي أنسلخ من آيات الله) يمثل حال الذين يكذبون بآيات الله بعد أن تبين لهم فيعرفوها،ثم لا يستقيموا عليها، وما أكثر ما يتكرر هذا النبأ في حياة البشر؛ وما أكثر الذين يُعْطون علم دين الله ، ثم لا يهتدون به ، إنما يتخذون هذا العلم وسيلة لتحريف الكلم عن مواضعه "[١٠١] . هذه صور عن بعض الذين اغتروا بعلمهم فطغوا وتجاوزوا حدودهم ، ولكن هناك صور رائعة ومشرقة لبعض الناس الذين ازدادوا بهذا العلم خشية وتواضعاً ، قال الله تعالى عن داود وسليمان – عليهما السلام – : { وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ }[١٠٢] فداود وسليمان – عليهما السلام – شكرا الله تعالى على هذه النعمة !

---

(٩٩) سورة القصص ، آية ٧٨ .

(١٠٠) سورة الأعراف ، آية ١٧٥ .

(١٠١) سيد قطب ، **في ظلال القرآن** ، ط٢٥ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ج٢ ، ص١٣٩٧-١٣٩٨ .

(١٠٢) سورة النمل ، آية ١٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : التبعية[١٠٣] المذمومة :

أشرت سابقاً أن الإنسان يطغى ويتجبّر ، إذا استغنى عن خالقه ، والإنسان المستغني عن خالقه يكون تابعاً أو متبوعاً لغيره ؛ فما المقصود بالتبعية ؟!

- التبعية : أي الأتباع والمتبوعون ، والتبعية مشتقة من الفعل (تبع) ومادة (تبع) وردت في القرآن الكريم مرات عديدة .

قال ابن فارس في كتابه (معجم مقاييس اللغة) : " التّبع : التلو والقفو ، تقول : تبعت فلاناً ، إذا تلوته ، وتقول : اتبعت فلاناً إذا لحقته "[١٠٤] .

وقال الإمام الراغب في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن) : " يقال : تَبِعَهُ واتّبعه ، قفا أثره وذلك تارةً بالارتسام والائتمار ، ويقال : أتْبعه إذا لحقه "[١٠٥] .

أي : أن الاتباع عند الإمام الراغب نوعان[١٠٦] :

الأول : إتباع ومتابعة بالجسم ، وهو الإتباع المادي .

الثاني : إتباع ومتابعة بمعنى الاستجابة والامتثال.

الاستجابة والامتثال قد تكون في الأمور المحمودة ، فيكون إتباعاً إيجابياً ، كقوله تعالى : { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ }[١٠٧] ، وقد تكون الاستجابة والامتثال في الأمور المذمومة ، فيكون اتباعاً سلبياً ، كقوله تعالى : { إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ }[١٠٨] .

التبعية المذمومة تعني : أن الأتباع يُلغون إرادتهم وشخصيتهم بسبب جبنهم وضعفهم فينقادون لأوامر متبوعيهم من " الملأ " ، فيصبحون بلا شخصية ولا تفكير .[١٠٩]

قال عبد الرحمن حبنكة الميداني : " وبهذا السبب نلاحظ الجمهور الكبير من الأتباع الذين تعطلت إرادتهم الشخصية يعتقدون ما يمليه عليهم سادتهم وقادتهم المتبعون ؛ دون أن يعملوا أفكارهم ببحث حرٍّ أو مناقشةٍ منطقية سديدة ، سواء كان ذلك حقاً أو باطلاً ، خيراً أو شراً وسوف

---

(١٠٣) صلاح الخالدي ، **الاتباع والمتبوعون في القرآن** ، ط١، دار المنار، عمان، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، ص٣٥-٤٠.

(١٠٤) ابن فارس ، **معجم مقاييس اللغة** ، ج١ ، ص٣٦٢ .

(١٠٥) أبو القاسم الحسن بن محمد المفضل الراغب الأصفهاني (ت٥٠٣هـ) ، **معجم مفردات ألفاظ القرآن** ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، ص٨٣ .

(١٠٦) الخالدي ، **الاتباع والمتبوعون في القرآن** ، ص٣٦ .

(١٠٧) سورة آل عمران ، آية ٣١ .

(١٠٨) سورة الأحزاب ، آية ٦٧ .

(١٠٩) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، **العقيدة الإسلامية وأسسها** ، ط٩ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م ص٦٠٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لن يغنيهم من الحق شيئاً يوم القيامة أن يقولوا : { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا }[١١٠] "[١١١] .

حدثنا القرآن الكريم عن التبعية المذمومة ، وخاصة اتباع الآباء والأجداد ، حيث كانت هي الحجة التي يتمسك بها الطغاةُ ، ليطغوا ويتجاوزوا حدّهم ، فقد واجه قوم فرعون موسى عليه السلام بهذه الحجة الواهية ، قال تعالى : { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا }[١١٢] ، فها هم يُفصحون عن سبب تمسكهم بما كان عليه آباؤهم من الشرك ، وعدم إيمانهم بموسى وهارون – عليهما السلام – ، وهو الكبر والخوف على فواته .[١١٣]

وأيضاً ، فإنّ الرسول ﷺ عرض دعوته على قومه ، ولكنهم رفضوا دعوته بحجتهم الباطلة التي لا وزن لها في منظار العقل السليم ، ألا وهي قولهم فيما حكاه الله عنهم : { بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ }[١١٤] ، ولذلك أظهر القرآن سقوط هذا الاستدلال ، وأعلن تفاهته في مقياس العقل إلى درجة أنه يصح السخرية منه ، فقال تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ }[١١٥] .[١١٦]

هؤلاء الأتباع والمتبوعون استغلوا هذه الحجة الباطلة ، لأنها تخدم أهواءهم ، وتلبي شهواتهم لارتكاب الفواحش والمنكرات ، قال تعالى : { وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }[١١٧] .

ولكن هؤلاء الطغاة من الأتباع والمتبوعين سيتخلون عن بعضهم ويتبرأ كل منهم من الآخر ، ويحاول كل واحد منهم أن يحمل الآخر مسؤولية ضلاله وطغيانه ، فالأتباع تتهم المتبوعين بأنهم استخدموا جميع الوسائل والأساليب من ترغيبٍ وترهيبٍ لصدهم عن منهج الله تعالى ، وأنهم هم السبب في ضلالهم وطغيانهم وعدم إيمانهم ، قال تعالى : { وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۞ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَاغِينَ }[١١٨] .

---

(١١٠) سورة الأحزاب ، آية ٦٧ .

(١١١) الميداني ، **العقيدة الإسلامية وأسسها** ، ص٦٠٠ .

(١١٢) سورة الأحزاب ، آية ٦٧ .

(١١٣) سعيد محمد بابا سيلا ، **أسباب هلاك الأمم السالفة** ، ط١ ، دار الجوزية ، ٢٠٠٠م ، ص١٧٤ .

(١١٤) سورة الزخرف ، آية ٧٨ .

(١١٥) سورة البقرة ، آية ١٧٠ .

(١١٦) الميداني ، **العقيدة الإسلامية وأسسها** ، ص٥٩٠ .

(١١٧) سورة الأعراف ، آية ٢٨ .

(١١٨) سورة الصافات ، آية ٢٧-٣٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الآيات تبين ما سيكون بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة ، من جدال واتهام وسباب وتخاصم ، وأن التبعية هي من الأسباب التي تؤدي إلى الطغيان .

ولنتأمل في كلام سيد في تفسيره لهذه الآية ، فقال : " إنها لمسةُ الإيمان للقلب البشري تحوله في لحظة من الكفر إلى الإيمان ، ولكن أنّى للطغاة أن يدركوا هذا السر اللطيف؟! أنى لهم أن يدركوا كيف تتقلب القلوب ؟! وهم قد نسوا لطول ما طغوا وبغوا ورأوا الأتباع ينقادون لاشارة منهم ، نسوا أن الله هو مقلب القلوب ، وأنها حين تتصل به وتستمد منه وتشرق بنوره لا يكون لأحد عليها سلطان "(١١٩) .

المطلب الثالث : حب الأبناء الفاسدين :

قال تعالى : " { وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً } "(١٢٠) .

جاء في المطلب السابق أن التبعية قد تكون سبباً من أسباب الطغيان ، إذا كانت تبعية ضالة غير مبصرة ، وأن من صور التبعية اتباع الآباء والأجداد على غير هدى ، وأيضاً فإن حبّ الأبناء الفاسدين قد يكون سبباً من أسباب الطغيان ، ولكن كيف يكون ذلك ؟! زين الله تعالى هذه الدنيا بزينة المال والبنين ، قال تعالى : { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً }(١٢١) ، فالآباء جبلوا على محبة أبنائهم ولكن هذه المحبة ، وهذه العاطفة ، قد تقود بعض الآباء إلى الطغيان ، فيتجاوزوا حدّهم إلى الكفر أو العصيان ، خاصة إذا كان الابن فاسداً أو كافراً .

وقد ضرب الله لنا مثلاً في هذه الآيات على هذا الطغيان ، بقصة الرجل الصالح ، فقد قام بقتل غلام صغير ، فاعترض موسى عليه السلام على قتله ، فأخبره أن سبب قتل هذا الغلام أن الأبوين الصالحين المؤمنين ، كانا متعلقين بهذا الغلام تعلقاً شديداً وحقيقة حال الغلام غير ظاهرة لهما ، فلو استمر الغلام بينهما على قيد الحياة لأوردهما المهالك ، فلا يملكان ردّه عن غيّه وكفره ، ولا يتحكمان في قلبيهما لهجره ومقاطعته . (١٢٢)

هذا الغلام طبع كافراً ، فقد أخرج "مسلم" في صحيحه ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً"(١٢٣)

---

(١١٩) قطب ، **في ظلال القرآن** ، ج٤ ، ص٢٣٤٢ .

(١٢٠) سورة الكهف ، آية ٨٠ .

(١٢١) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(١٢٢) مصطفى مسلم ، **مباحث في التفسير الموضوعي** ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م ، ص٢٨٥ .

(١٢٣) رواه مسلم ، **باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم الموت** ، حديث رقم٢٦٦١ ، ج٤ ، ص٢٠٥٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد يعترض معترض فيقول : إن الغلام لا يطلق إلا من كان دون سن البلوغ ، فكيف يحكم بكفره !؟

يقول مصطفى مسلم رداً على هذا القول : " ذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلى أن الأطفال دون البلوغ ، لا يوصفون بالكفر والإيمان حقيقة ، وأنهم إذا ماتوا دون البلوغ كانوا من أهل الجنة على خلاف في التفاصيل الفرعية بينهم ، أقول : إن قول أهل السنة والجماعة تظاهره النصوص الكثيرة وهو حكم عام ، وقاعدة أساسية ، ولكن ما استثناه الدليل من القاعدة العامة يؤخذ به أيضاً ، وقد ورد الدليل الصحيح ، أن الغلام قد طبع يوم طبع كافراً "[١٢٤] .

قال البقاعي : " فبقاء ذلك الغلام حياً كان مفسدةً للوالدين في دينهم ودنياهم ، ولعله (الخضر) علم بالوحي أن المضار الناشئة من قتل ذلك الغلام ، أقلّ من المضار الناشئة بسبب حصول تلك المفاسد للأبوين ، فلهذا السبب أقدم على قتله"[١٢٥] ، الأبوان الصالحان لا يرضيان أن يكون أحد أبنائهما كافراً أو فاسداً، بل إنهما سيتألمان{ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً }؛ فالخشية بمعنى : الخوف وغلبة الظن . [١٢٦]

ومعنى { أَنْ يُرْهِقَهُمَا } ، قال البقاعي : " أي : أن يحملهما حبهما له على الطغيان والكفر بالله "[١٢٧] ، أو كما قال ابن كثير : " أي يحملهما حبه على متابعته على الكفرِ "[١٢٨] ، فلهذا قد يكون هذا الحب سببا من أسباب الطغيان . لقد ذكر الطغيان مع الكفر ، ومن حكمه وسرّ ذلك ، ما قاله الألوسي في تفسيره : " ولعلّ عطف الكفر على الطغيان لتفظيع أمره ، ولعل ذكر الطغيان مع أن ظاهر السياق الاقتصار على الكفر ، ليتأتى هذا التفظيع أو ليكون المعنى فخشينا أن يدنس إيمانهما أولاً ويزيله آخراً ، ويلتزم على هذا القول بأن ذلك أشنع وأقبح من إزالته بدون سابقية تدنيس "[١٢٩] .

لقد تبين لنا من خلال هذه الآيات أن حبّ الأبناء الفاسدين قد يؤدي بالآباء إلى الطغيان ومجاوزة الحد في الكفر والمعاصي ، لان فرط حبهم بأبنائهم قد يقود إلى متابعتهم والرضا بما يفعلونه ، فيلحقهما بسببه شرٌ وبلاء .

---

(١٢٤) مسلم ، **مباحث في التفسير الموضوعي** ، ص٢٨٦.

(١٢٥) البقاعي ، **نظم الدرر** ، ج٤ ، ص ٤٩٧ .

(١٢٦) الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، ص١٦٢ .

(١٢٧) البقاعي ، **نظم الدرر** ، ج٤ ، ص ٤٩٧ .

(١٢٨) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٣ ، ص٩٢ .

(١٢٩) شهاب الدين محمود الألوسي (ت١٢٧٠هـ) ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، ط١، دار إحياء التراث ، بيروت ، ج١٦ ، ص١١-١٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع : العناد والجحود :

قال تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }[١٣٠] . يروى أن سبب نزول هذه الآية ، عن ابن عباس ﷺ ، قال : " جاء رَسُوْلَ الله ﷺ رافعُ بن حارثة وسلام بن مسكين ومالك بن الصيّف ، ورافع بن حرملة ، قالوا : يا محمد ، ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عندنا من التوراة ، وتشهد أنها من الله حق ؟ فقال رسول الله ﷺ : " بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق ، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبيّنوه للناس ؟ وأنا بريءٌ من أحداثكم ، قالوا : فإنّا نأخذ بما في أيدينا ، فإنّا على الحق والهدى ، ولا نؤمن بك ولا نتبعك ، فأنزل الله : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ... } إلى قوله: { الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }[١٣١] " .

هذا السبب يبين لنا أن من الأسباب التي جعلت أهل الكتاب يطغون ويتجاوزن حدهم في الكفر والمعاصي ؛ فقد أنكروا نبوة الرسول ﷺ ، ولم يؤمنوا بالقرآن الكريم ، بسبب عنادهم وجحودهم قال رسول الله ﷺ : " ولكنكم أحدثتم وجحدتم " .

هذا الجحود والعناد ، هو الذي أدى بأهل الكتاب إلى الطغيان ومجاوزة الحد ، فازدادوا طغيانا على طغيانهم ، وكفرا على كفرهم .

" وقد كان الأوْلى بهم أن يستجيبوا إلى هداية القرآن ، ويستمعوا لآياته بقلوب مفتوحة راغبة في الاستفادة ، لكنهم بدلا من أن يزدادوا إيمانا بما أنزل الله على رسوله ﷺ ، ازدادوا إمعاناً في الكفر والطغيان ، إلا قليلاً منهم استجابوا للحق ، فآمنوا بما أنزل الله على رسوله ﷺ من الآيات البينات ، وبقي الكثير منهم على ضلالهم القديم "[١٣٢] . قال سيد طنطاوي : " فهم لم يكن امتناعهم للانصياع للحق من أجل جهل أو شبه ، وإنما من أجل بغيهم وحسدهم لمحمد ﷺ على ما آتاه الله من فضله ، ومن أجل طلبهم للرئاسة وحظوظ الدنيا ، ورذيلةُ البغي والحسد وحب الدنيا ، إذا استولت على قلبٍ ، نُزعت منه نور العلم وجعلته يجحد الحق وينكره ،وينأى عن طريق الإيمان ويتردى في الكفر والفسوق والعصيان"[١٣٣] . فقوله تعالى:{ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن

---

(١٣٠) سورة المائدة ، آية ٦٨ .

(١٣١) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٦ ، ص٢٠٠ ، وانظر ، نادي بن محمود حسن ، **المقبول من أسباب النزول** ، ط١،مطبعة الأمانة ، مصر ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، ص٢٩٨ .

(١٣٢) عبد الله شحاته ، **تفسير القرآن الكريم** ، ط١ ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ج٥ ، ص١١٢٥ .

(١٣٣) محمد سيد طنطاوي ، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة** ، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م ، ص١١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً }[١٣٤]،جملة مستأنفة مبينة لغلوهم في العناد والجحود،وناعية عليهم عدم انتفاعهم بما يشفي النفوس ويصلح القلوب "[١٣٥].

قال الطبرسي : " أي : سيزدادون عند إنزال القرآن إليك طغيانا وكفرا ، ويريد بالكثير منهم المقيمين على الكفر ، وإنما ازدادوا كفراً لأنه كلما أنزل الله حكما ، وأخبرهم النبي ﷺ به جحدوه وازدادوا بذلك طغيانا ، وهو التمادي والمجاوزة عن الحد ، وكفرا انضم إلى كفرهم "[١٣٦].

وقال محمد رشيد رضا : " أي : أن هذا الذي أنزلناه عليك من خفي أمور هؤلاء اليهود المعاصرين لك ، ومن أحوال سلفهم ، وشؤون كتبهم ، وحقائق تاريخهم ، هو من أعظم الحجج والآيات على نبوتك ، فكان ينبغي أن يجذبهم إلى الإيمان بك ، لأنك لولا النبوة والوحي لما علمت من ذلك شيئا - لا من ماضيه ؛ لأنك أُمّيٌّ لم تقرأ الكتب ، وما كل من قرأها يعلم كل ما جئت به عنهم - ولا من حاضره ؛ لأنه من خفايا مكرهم وأسرار كيدهم ، ولكنهم لتجاوزهم الحدود في الكفر والحسد للعرب والعصبية الجنسية لأنفسهم لا يجذبهم ذلك إلى الإيمان ، ولا يقربهم منه إلا قليلا منهم ، ووالله ليزيدن كثيرا منهم طغيانا في بغضك وعداوتك وكفرا بما جئت به "[١٣٧].

هذه الآية فيها تسلية للنبي ﷺ وللمؤمنين ، بأن لا يحزنوا على تكذيب هؤلاء اليهود والنصارى ، فإن هذا الجحود والعناد هو من خلقهم وعادتهم { فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } .

قال الإمام الطبري : " يقول تعالى ذكره لنبيه : لا تحزن ، يا محمد ، على تكذيب هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى من بني إسرائيل لك ، فإن مثل ذلك منهم عادة وخلق في أنبيائهم فكيف فيك ؟! "[١٣٨] .

---

(١٣٤) سورة المائدة ، آية ٦٨ .

(١٣٥) محمد سيد طنطاوي ، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، ط١ ، دار نهضة مصر ، مصر ، ١٩٩٨ م ، ج٤، ص٤٢٧ .

(١٣٦) الطبرسي ، **مجمع البيان** ، ج٣ ، ص٣٤٠ .

(١٣٧) محمد رشيد رضا ، **تفسير المنار** ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ج٦ ، ص٤٥٦-٤٥٧ .

(١٣٨) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٦ ، ص٢٠٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني :

مظاهر الطغيان

تمهيد :

عندما تتمكن الأسباب التي تؤدي إلى الطغيان في نفس الطغاة ، تظهر على جوارحهم وسلوكهم مظاهر سيئة .[١٣٩] وأهم المظاهر التي تظهر على الطغاة هي :

المطلب الأول : كثرة الفساد :

قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ }[١٤٠] .

تحكي لنا هذه الآيات عن أمم أو فرق ثلاث من الذين طغوا في بلادهم ،وتجاوزوا حدهم في الكفر والمعاصي، تسلية للنبي ﷺ وللمؤمنين، لما كانوا يواجهونه من طغيان قريش وعنادها.

هذه الأمم الثلاث ذكرت على سبيل الإجمال ، لأنهم أعلام في القوة والشدة والتجبر[١٤١] وكان أمر عاد وثمود عندهم مشهوراً ؛ إذ كانوا في بلاد العرب ، وحجر ثمود موجود اليوم وأمر فرعون كانوا يسمعونه من جيرانهم من أهل الكتاب ، واستفاضت به الأخبار ، وبلاد فرعون متصلة بالعرب .[١٤٢]

اشتهرت هذه الأمم بطغيانها وتجاوزها حد الله في الكفر والمعاصي ، ونتج عن هذا الطغيان الفساد الكبير ، ولكن ما نوع هذا الفساد الذي أكثروا منه في البلاد ؟!

- أقوال المفسرين في معنى هذا الفساد ونوعه :

١- الفساد : الكفر وسائر المعاصي .[١٤٣]

٢- الجور والأذى .[١٤٤]

٣- أخذ المال بغير حق .[١٤٥]

---

(١٣٩) سعيد ، **أسباب هلاك الأمم السالفة** ، ص١٧٠ .

(١٤٠) سورة الفجر ، الآيات ٦-١٢ .

(١٤١) نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، مجلد ٦، ص٤٩٥ .

(١٤٢) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج٢٠ ، ص٤٤ .

(١٤٣) محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت ٩٥١هـ) ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى بتفسير أبي السعود** ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج٩ ، ص١٥٤ .

(١٤٤) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج٢٠ ، ص٤٩ .

(١٤٥) الفيروزآبادي ، **بصائر ذوي التمييز** ، ج٤ ، ص١٩٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" والرأي الراجح ، أن الفساد : ضد الصلاح ؛ فكما أن الصلاح يتناول جميع أقسام البر فالفساد يتناول جميع أقسام الإثم،فمن عمل بغير ما أمر الله،وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد"(١٤٦) إن الطغيان يؤدي إلى الفساد ، والفساد له نتائجه الخطيرة على الأفراد والمجتمعات والدول .

يقول سيد قطب : " وليس وراء الطغيان إلا الفساد ، فالطغيان يفسد الطاغية ، ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان سواء ، كما يفسد العلاقات والارتباطات في كل جوانب الحياة ، ويحول الحياة عن خطها السليم النظيف ، المعمر الباني ، إلى خط آخر لا تستقيم معه خلافة الإنسان في الأرض بحال ..." (١٤٧) .

" وهكذا فإن الطغيان لا ينتج إلا الفساد والخراب ، وهو المشاهد في كلِّ الأعصار التي تحكم الناس فيها بهواهم ! " (١٤٨) .

المطلب الثاني : تكذيب الرسل واتهامهم بالسحر والكهانة والشعر والجنون :

قال تعالى : { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۞ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۞ فقال لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا }(١٤٩) .

طلبت ثمود من رسولها صالح عليه السلام أن يأتيهم بخارق يدل على صدق دعوته ، فأخرج الله لهم ناقة ، قال تعالى : " { وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بها }(١٥٠) ، ودعاهم صالح عليه السلام إلى عبادة الله ، وأن يتركوها تأكل من أرض الله ، ولا يمسوها بسوء ؛ وإذا مسوها بسوء فإن الله سيعاقبهم عقاباً أليماً .

قال تعالى : { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }(١٥١).

لم يعجب القوم هذا النداء فاجتمعوا لعقر الناقة وقتلها ، فانطلق أشقاهم بسرعةٍ وصلف وتكبرٍ ، فعقر الناقة ! روى البخاري عن عبد الله بن زَمْعَةَ رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة ، وذكر الذي عقرها فقال رسول الله ﷺ : { إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا } ، انبعث لها رجلٌ عزيزٌ عارمٌ منيعٌ في

---

(١٤٦) الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، ج١١ ، ص١٥٤ .

(١٤٧) قطب ، **في ظلال القرآن** ، ج٦ ، ص٣٩٠٤ .

(١٤٨) علي العتوم ، **حركة الردة** ، ط١ ، مكتبة الرسالة ، عمان ، ١٩٨٧م ، ص٢٦٦ .

(١٤٩) سورة الشمس ، الآيات ١١-١٥ .

(١٥٠) سورة الإسراء ، آية ٥٩ .

(١٥١) سورة الأعراف ، آية ٧٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَهْطِه ، مثلُ أبي زَمْعَةَ "[١٥٢]. [١٥٣] هؤلاء القوم كذبوا رسولهم في وعيده لهم بعذاب الله ، قال تعالى : { فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }[١٥٤] وعقروا الناقة ، علماً أنهم لم يعقروها جميعاً ، وإنما عقرها أشقاهم ، ولكنهم " لما سكتوا عنه ولم يمنعوه ، ورضوا بفعله ، نسب العقر إليهم جميعاً "[١٥٥] .

هذا التكذيب كان ناتجاً عن طغيانهم وهو تجاوزهم الحد في الكفر والمعاصي ، نفهم ذلك من قوله تعالى : { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا }[١٥٦] . قال ابن عطية : " كذبت ثمود نبيها بسبب طغيانها وكفرها "[١٥٧] . وقال ابن كثير : " كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي "[١٥٨] فالباء على هذا سببية،أي : أن الحامل لهم على تكذيب الرسول هو طغيانهم. وقيل :"{ بِطَغْوَاهَا } أي : بالعذاب الذي أوعدوا به ، فالطغوى على هذا اسمٌ للعذاب الذي أهلكوا به "[١٥٩] ، كما في قوله تعالى : { فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ }[١٦٠] ، وقال آخرون : كذبت ثمود بمعصيتهم الله ، وقال آخرون : بل معنى ذلك بأجمعها . وقيل : " طغواها : بمعنى طغيانهم ، وهما مصدران للتوفيق بين رؤوس الآي ، إذ كانت الطغوى أشبه بسائر رؤوس الآيات في هذه السورة وذلك نظير قوله { وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ } بمعنى وآخر دعائهم "[١٦١].

والقول الأول هو الأظهر عند كثير من المفسرين ، وإن كانت الآية تحتمل الكل ، فثمود كذبوا نبيهم بسبب طغيانهم ، وكذبوا بالعذاب الذي أو عدوا به .

لقد سجل القرآن الكريم اتفاق الطغاة وإجماعهم على استخدام هذا الأسلوب مع جميع الرسل لتشويه صورتهم ، وتفريق الناس من حولهم .

([١٥٢]) رواه البخاري ، **كتاب التفسير** ، سورة الشمس ، حديث رقم ٤٩٤٢ ، ج٣ ، ص٣٢٦ . وعبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أخت أم سلمة زوج النبي ﷺ ، صحابي جليل ، كان أبوه من أشراف قريش وكان في عزة رفيعة في قومه ، قتل يوم الدار سنة خمس وثلاثين للهجرة . انظر ، العسقلاني ، **الإصابة في تمييز الصحابة** أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ) ، ط١ ، دار صادر ، ١٣٢٨هـ ، ج٢ ، ص٣١١ .

([١٥٣]) عارم : أي شهم . عزيز : أي رئيس . منيع : أي مطاع في قومه . ابن كثير ، **قصص الأنبياء** ،ص١٣٤.

([١٥٤]) سورة الأعراف ، آية ٧٧ .

([١٥٥]) محمد عماره ، **الأعمال الكاملة لمحمد عبده** ، ج٥ ، ص٤٦٢ .

([١٥٦]) سورة الشمس ، آية ١١ .

([١٥٧]) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت٥٤٦هـ) ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، ج٥ ، ص٤٨٨.

([١٥٨]) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٤ ، ص٦٧ .

([١٥٩]) ابن عطية ، **المحرر الوجيز** ، ج٥ ، ص٤٨٨ .

([١٦٠]) سورة الحاقة ، آية ٥ .

([١٦١]) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٣٠ ، ص١٣٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الله تعالى : { ذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۞ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ }[١٦٢] ؛ فالقرآن يثير سؤالاً ، لماذا هذا الاتفاق ؟ ولماذا هذا التواصي ؟ بين الطغاة وأولياء الشيطان ، ليصدروا عن نفس التهمة ونفس القول لرسل الله عليهم السلام ؟! ويجيب القرآن الكريم : { بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ }[١٦٣] ، هذا الاتهام للرسل لم يوصِ به بعضهم بعضاً لأنهم لم يلتقوا ولم يجتمعوا مع بعضهم بعضاً فبيْنهم أعمار طويلة ، ولكنهم قوم معتدون طغاةٌ متجاوزون حدّ الله في الكفر والمعاصي . قال الزمخشري : " أي : لم يتواصوا به ، لأنهم لم يتلاقوا في زمانٍ واحد ، بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان ، والطغيان هو الحامل عليه "[١٦٤] ، وقال الزحيلي: " والواقع ، أنهم لم يتواصوا بذلك لتباعد زمانهم ، لكن هم قومٌ طغاة جمعهم الطغيان ، وهو المجاوزة الحد في الكفر ، فقال متأخروهم كما قال متقدموهم "[١٦٥] . لم ينته هذا التكذيب والاتهام للرسل وللمؤمنين ، فهو متجددٌ ومتنوعٌ ، فهو يصدر عن جماعات وأقوام ، وقد تتبناه دول وأنظمة ، قال تعالى : { أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۞ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ۞ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ }[١٦٦].

- فلقد جاء في هذه الآيات :

١. الفعل المضارع (يقولون) : فهو فعل يدل على التجدد والاستمرار في النيل من الأنبياء والمؤمنين .

٢. دخول كلمة (قوم) في الآيات ، قال تعالى : { أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ }[١٦٧] ، وقوله تعالى : { أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ }[١٦٨] .

وهذا يعني أن الطغيان من مقومات قوميتهم فكلمة قوم تعني أنها مجموعة قوية من الروابط ، كرابطة الدم ، أو النسب ، أو الحزب ، ولذلك ؛ فإن الطغيان قد ينتج عن جماعات وأنظمة فيضعوا المناهج والوسائل والبرامج لطغيان البشرية ، من أجل صدهم عن دين الله تعالى. والذي دفع هؤلاء الطغاة إلى توجيه الاتهامات والأقاويل الباطلة للأنبياء والمؤمنين ، هو طغيانهم

---

(١٦٢) سورة الذاريات ، آية ٥٢-٥٣ .

(١٦٣) سورة الذاريات ، آية ٥٣ .

(١٦٤)أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ، ج٤ ، ص٣٩٥ .

(١٦٥) وهبة الزحيلي ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١١هـ-١٩٩١م ، ج٢٧ ، ص٤٧ .

(١٦٦) سورة الطور ، آية ٣٠-٣٢ .

(١٦٧) سورة الطور ، آية ٣٢ .

(١٦٨) سورة الذاريات ، آية ٥٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومجاوزتهم الحد في الكفر والمعاصـــي ، فها هم أهل قريش الذين يوصـــفون بالأحلام والعقول يصدر عنهم القول بأن محمداً ﷺ كان ساحراً ، أو كاهناً ، أو مجنونا ، أو شاعراً ! قال تعالى : { أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُون }(١٦٩) .

ومن الأنبياء الذين كذبوا من قبل أقوامهم : نوح عليه السلام ، قال تعالى : { فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ }(١٧٠) وهود عليه السلام ، قال تعالى : { قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ }(١٧١) وكذلك موسى عليه السلام كذبّه فرعون وهامان وقارون ، قال تعالى : { لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِين إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ }(١٧٢) .

هذا هو دأب الطغاة قديماً وحديثاً ومستقبلاً يكذبون الأنبياء ، والرسل ، وأتباعهم على مرِّ الأزمنة والأمكنة ، قال تعالى : { ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ }(١٧٣) وقال تعالى : { وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ }(١٧٤).

المطلب الثالث : قتل الأنبياء والمؤمنين و إيذاؤهم :

قال تعالى : { اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۞ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۞ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى ۞ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى }(١٧٥) .

يأمر الله في هذه الآيات موســـى وهارون – عليهما الســـلام – بالذهاب إلى فرعون مستخدمين أسلوب الحكمة والقول اللين ؛ ليدعواه إلى عبادة الله تعالى وحده ، وإخراج بني إسرائيل ، قال تعالى : { فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِين ۖأَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ }(١٧٦) .

---

(١٦٩) سورة الطور ، آية ٣٢.

(١٧٠) سورة هود ، آية ٢٧.

(١٧١) سورة الأعراف ، آية ٦٦ .

(١٧٢) سورة غافر ، آية ٢٤.

(١٧٣) سورة المؤمنون ، آية ٤٤.

(١٧٤) سورة الأنعام ، آية :٣٤.

(١٧٥) سورة طه ، آية ٤١-٤٦ .

(١٧٦) سورة الشعراء ، آية ١٦-١٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موسى وهارون – عليهما السلام – يعرفان من هو فرعون ؟! قال ابن كثير : " فرعون كان جباراً عنيداً ، وشيطاناً مريداً له سلطان – في بلاده مصر – طويل عريض ، وجاه وجنود وعساكر وسطوة ، فهاباه من حيث البشرية ، وخافا أن يسطوا عليهما في بادئ الأمر ، فثبتهما تعالى وهو العليّ الأعلى "[١٧٧] . " هذا الخوف الذي صدر من موسى وهارون – عليهما السلام – هو خوف طبيعي ، وليس خوفاً شرعياً ؛ فالخوف الطبيعي هو انفعال في النفس ، يحدث لتوقع ما يرد من المكروه ، أو يفوت من المحبوب ، وهو من طبائع البشر "[١٧٨] .

قال الإمام القرطبي : " والخوف من الأعداء سنّة الله في أنبيائه وأوليائه ، على معرفتهم به وثقتهم "[١٧٩] . وقال وهبة الزحيلي : " الخوف من عدوان الظلمة العتاة الجبابرة ، كفرعون من طبيعة البشر لذا لم يكن مستغرباً أن يقول موسى وهارون : { قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى }[١٨٠] ، أي : أن يشطط في أذيتنا أو يعتدي علينا "[١٨١] .

ومعنى { أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا } ، قال الراغب : " الفرط : إذا تقدم تقدماً بالقصد ، وأن يفرط علينا : أي : أن يتقدم ، والإفراط : أن يسرف في التقدم ، والتفريط أن يقصر في الفرط يقال ما فَرّطت في كذا ، أي : ما قَصَّرتُ "[١٨٢] .

قال سيد قطب : " الفرط هو التسرع بالأذى للوهلة الأولى ، والطغيان أشمل من التسرع وأشمل من الأذى ، وفرعون الجبار يؤمئذ لا يتحرج من أحدهما أو كليهما "[١٨٣] .

وهذا معناه أن فرعون ، كان جباراً وطاغياً وليس حليماً ولا متأنياً وإذا سمع شيئاً لا يعجبه ولا يتفق مع هواه ؛ فإنه يسارع بالعقوبة ويوقع الأذى بمن يخالفه ؛ ففرعون بسبب ضعف حجته وباطله ، قد يستخدم القوة والأذى في مقاومة الحجة الناصعة ؛ بل قد استخدم ذلك مع سحرته ، قال تعالى : { لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ }[١٨٤] .

---

(١٧٧) أبو الفداء اسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ) ، **قصص الأنبياء** ، تحقيق يوسف بديوي ، ط١ ، دار ابن كثير ، بيروت ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م ، ص٣٣٢ .

(١٧٨) عبد الله بستاني ، **الوافي** ، ط١ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص١٨٧ .

(١٧٩) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج١١ ، ص٢٠٢ .

(١٨٠) سورة طه ، آية ٤٥ .

(١٨١) الزحيلي ، **التفسير المنير** ، ج١٦ ، ص٢١٨ .

(١) الراغب ، **المفردات** ، ص٤٢١-٤٢٢ .

(١٨٣) قطب ، **في ظلال القرآن** ، ج٤ ، ص٢٣٣٦ .

(١٨٤) سورة الأعراف ، آية ١٢٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- وقد سجل لنا القرآن الكريم الأساليب[١٨٥] التي يستخدمها الطغاة في إيقاع الأذى بالأنبياء والمؤمنين ، ومنها :

١. التهديد بالضرب والرجم : ذكر القرآن الكريم هذا الأسلوب في أكثر من سورة ، ففي سورة الشعراء ، هدد قوم نوح عليه السلام نوحاً – إنْ هو استمر في دعوتهم إلى التوحيد – بالرجم قال تعالى : { قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ }[١٨٦] .

وفي سورة هود عليه السلام ، يخاطب قوم شعيب شعيباً عليه السلام ، بعد أن دعاهم إلى التوحيد وعبادة الله تعالى بما أخبر الله تعالى به ، قال تعالى : { قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ }[١٨٧] .

٢. التهديد بالسجن : وهو أسلوب من الأساليب التي يستخدمها الطغاة في إيقاع الأذى بالأنبياء والمؤمنين ، وهو أسلوب قديم ، ومتجددٌ يزاوله الطغاة ، ففرعون هدد موسى عليه السلام بالسجن ، إذا اتخذ إلهاً غيره ، قال تعالى : { قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ }[١٨٨] ويوسف عليه السلام يكافأ على عفته وحشمته بالسجن ،قال تعالى : { فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ }[١٨٩] ،وقال تعالى : { ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ }[١٩٠] وهكذا الظالم دائماً لا يعبأ بكرامة الآخرين ولا بحقوقهم المهدورة ، فالظالم لا يهمه أمر المظلوم ، ولو قضى طول عمره في السجن مظلوماً ، ومحمد ﷺ تعرض لهذا الأسلوب ، فقد اجتمع الملأ من قريش في دار الندوة للمكر به فعقدوا العزم على سجنه ، أو إخراجه ، أو قتله ، قال تعالى : { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }[١٩١] .[١٩٢]

٣. التهديد بالنفي والتشريد : هذا الأسلوب تعرض إليه كثير من الرسل والمؤمنين ، ففي سورة الأعراف ، وقف الملأ من قوم شعيب يهددون شعيباً عليه السلام والذين آمنوا معه بالإخراج قال

---

(١٨٥) محمد عبد القادر أبو فارس ، **الابتلاء والمحن في الدعوات** ، ط٢ ، دار الفرقان ، عمان ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م ،ص٨١-٨٨ .

(١٨٦) سورة الشعراء ، آية ١١٦ .

(١٨٧) سورة الشعراء ، آية ٢٩ .

(١٨٨) سورة يوسف ، آية ٤٢ .

(١٨٩) سورة يوسف ، آية ٣٥ .

(١٩٠) سورة الأنفال ، آية ٣٠ .

(١٩١) محمد عفيف الزعبي ، **مختصر سيرة ابن هشام** ، ط٥ ،دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م ، ص٩٤ –٩٦.

(١٩٢) سورة الأعراف ، آية ٨٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى : { قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْـتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُـعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ }(١٩٣) .

وهدد قوم لوط لوطًا عليه السلام وأهله بالإخراج والنفي ، قال تعالى : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ }(١٩٤) .

٤.التهديد بالقتل : لقد تعرض بعض الأنبياء والمؤمنين ، للقتل فقد قام اليهود بقتل أنبيائهم قال تعالى :{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَـواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ }(١٩٥).

وفرعون يطلب من قومه أن يذروه يقتل موسى عليه السلام ، قال تعالى : { وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَـى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ }(١٩٦) . وقد حدث القرآن عن مكر ثمود لقتل نبيها صالح عليه السلام ، قال تعالى : { وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۞ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَـهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ }(١٩٧) .

٥. التهديد بقطع الرزق : وهو أسـلوب يزاوله الطغاة للضـغط على الأنبياء والمؤمنين ليتخلوا عن مبادئهم وعن دينهم ، وقد كانت الحجة لهم لكي لا يتبعوا الرسـل ، فقد أخبرنا القرآن الكريم أن مشركي أهل مكة خافوا الفقر والجوع ، إذا اتبعوا سيد المرسلين محمداً ﷺ ، قال تعالى : { وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِـنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }(١٩٨) . قال الطبري : " أي : يقول تعالى ذكره وقالت كفار قريش إن نتبع الحق الذي جئتنا به معك ونتبرأ من الأنداد والآلهة يتخطفنا الناس من أرضـنا بإجماع جميعهم على خلافنا وحربنا "(١٩٩) .

إن هذا الأسلوب ، أسلوب التهديد في الرزق واضحاً ويظهر واسعاً في عصرنا الحاضر حيث يتوعدون ويهددون أي شـخص يفكر بالعمل لاسـتئناف الحياة الإسـلامية بشـتى الوسـائل والأساليب .

---

(١٩٣) سورة النمل ، آية ٥٦ .

(١٩٤) سورة البقرة ، آية ٦١ .

(١٩٥) سورة البقرة ، آية ٦١ .

(١٩٦) سورة غافر ، آية ٢٦ .

(١٩٧) سورة النمل ، آية ٤٨-٤٩ .

(١٩٨) سورة القصص ، آية ٥٧ .

(١٩٩) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٢٠ ، ص٦٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦.إثارة الشبهات في الرسل : يعمد الطغاة إلى إثارة الشبهات على الرسل ودعوتهم ، بقصد تشويه صورتهم عند الناس ، وذلك ليبعدوهم عنهم أو أن يتصلوا بهم . فمما يروى أن قريشا أثارت شبهات كاذبة حول دعوة الإسلام ، قال تعالى : { وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً }(٢٠٠) ، وكذلك قوم فرعون مع موسى عليه السلام ، قال تعالى : { وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ }(٢٠١) .

٧. الاستهزاء والسب والشتم : واجه الطغاة رسلهم عليهم السلام وأتباعهم بألوان من الشتائم والسباب ، فأسمعوهم بذيء الكلام ، وأقسى العبارات ، وسخروا منهم ، وذلك للنيل منهم وتحطيم نفسياتهم ، قال تعالى : { وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ۞ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون }(٢٠٢) ، وقال تعالى : { وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ }(٢٠٣) .

هذه هي أهم الأساليب التي يزاولها الطغاة في مزاولة طغيانهم ، وإيقاع الأذى بالأنبياء والمؤمنين . ولقد صدق قول الله تعالى إذ يقول : { لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ }(٢٠٤) وقال تعالى : { ألم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ }(٢٠٥) .

---

(٢٠٠) سورة الفرقان ، آية ٥ .

(٢٠١) سورة الأعراف ، آية ١٢٧ .

(٢٠٢) سورة الزخرف ، آية ٧ .

(٢٠٣) سورة هود ، آية ٣٨ .

(٢٠٤) سورة آل عمران ، أية ١٨٦ .

(٢٠٥) سورة العنكبوت ، آية ١-٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع : الكفر بالآيات والمعجزات :

قال تعالى : { وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً }(٢٠٦) .

إنّ من مظاهر الطغيان الكفر بالآيات والمعجزات والخوارق التي تظهر على يد المرسلين ، ففي هذه الآيات يخبرنا الله تعالى عن نعمه التي امتن بها على الرسول ﷺ حيث كفّ الله تعالى الناس عنه ، وعصمه منهم لئلا يصلوا إليه ، وأراه الرؤيا الصادقة في الإسراء والشجرة الملعونة { شَجَرَةُ الزَّقُّوم } ، وكانت هذه الرؤيا رؤيا عين ، كما جاء عند البخاري عن ابن عباس ﷺ أنه قال : " { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ .. } قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أُسري به إلى بيت المقدس "(٢٠٧) .

قال البقاعي : " ولعله إنما سماه – رؤيا – وهي للمنام على وجه التشبيه والاستعارة لما فيه من الخوارق ، التي هي للمنام أليق في مجاري العادات "(٢٠٨) .

كانت حادثة الإسراء والمعراج ، وعما رأى الرسول ﷺمن الآيات ابتلاءً وامتحاناً للناس فعندما أخبرهم الرسول ﷺ بما جرى له ، انقسم الناس إلى فريقين :

١. الفريق الأول : فريق آمن وصدق وثبت وازداد يقيناً ، كأبي بكر الصديق ﷺ .
٢. الفريق الثاني : فريق أنكر وكفر بآيات الله ومعجزاته ، وما زادتهم خارقة الإسراء والمعراج ، ولا خارقة التخويف بشجرة الزقوم إلا استهزاءً وإمعاناً في الطغيان ، كأبي جهل – لعنه الله – .

يروى في سبب نزول هذه الآية ، كما جاء عند الواحدي : عن ابن عباس ﷺ قال : " لما ذكر الله تعالى الزقوم خوّف به هذا الحيّ من قريش ، فقال أبو جهل : هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد عليه الصلاة والسلام ؟! قالوا : لا ، قال : الثريد بالزبد ، أما والله لئن أمكننا منها لنتزقمنها تزقماً ، فأنزل الله تبارك وتعالى : " والشجرة الملعونة في القرآن – يقول المذمومة – ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً .(٢٠٩)

لقد كفر أهل قريش بالآيات والمعجزات الدالة على صدق رسول الله ﷺ ، وكان الأوْلى بهم أن يؤمنوا بالآيات والخوارق ، ولكنهم كفروا وطغوا ، وازدادوا طغياناً على طغيانهم بسبب كفرهم بآيات الله ومعجزاته .

---

(٢٠٦) سورة الإسراء ، آية ٦٠ .

(٢٠٧) رواه البخاري ، **فضائل الصحابة** ، باب المعراج ، رقم ٣٦٧٥ ، ج٣ ، ص١٤١٢ .

(٢٠٨) البقاعي ، **نظم الدرر** ، ج٤ ، ص٤٠٠ .

(٢٠٩) أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، **أسباب النزول** ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص١٦٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن هذا الكفر وهذا الطغيان متجدد ومســـتمر فكلما تجدد التخويف بالمعجزات والخوارق كلما تجدد الطغيان وتكرر وازداد ، نفهم هذا من الفعل المضـارع (نخوفهم – يزيدهم) الذي يدل على التجدد والاســـتمرار[٢١٠] ، فقديماً وحديثاً ومســـتقبلاً ، هناك فئات وأفراد يكفرون بآيات الله ومعجزاتـه ؛ فيظهر عليهم الطغيـان والكفر ومجـاوزة الحد ، فقديماً فرعون وآله كفروا بآيات الله تعالى ، قال تعالى : { كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ }"[٢١١] .

(٢١٠) ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج١٥ ، ص١٤٩ .

(٢١١) سورة آل عمران ، آية ١١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث :
مجالات الطغيان

تمهيد :

أشـــرت إلى الأســـباب التي تؤدي إلى الطغيان ، والمظاهر التي تنتج عنه ، أما في هذا المبحث فسأشير إلى ميادين الطغيان ومجالاته .

عند اســـتقرائي للآيات التي ذكرت مادة (طغى) ، واشـــتقاقاتها تبيّن لي أن الطغيان قد يدخل في مجالات كثيرة ومتعددة ، فيدخل في المجال السياسي ، وخاصة طغيان السلطة ويدخل في المجالات الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية .

المطلب الأول : الطغيان السياسي (طغيان السلطة) :

تحدث القرآن الكريم عن الطغيان السياسي ، والطغيان السياسي أو طغيان السلطة هو تجاوز الإنسان حدّه وقدره بسبب ما أوتيه من سلطة الأمر والنهي ونفاذهما على الغير ، ولو جبراً وقهراً عند الاقتضاء "[٢١٢] .

" وأكثر ما يكون الطغيان السياسي عند الحكومات والحكام ، وقد يعبّر عنه بالاستبداد وأكثر ما يكون الاستبداد هو استبداد الحكومات خاصة ؛ لأنها هي أقوى العوامل التي جعلت الإنسان أشقى ذوي الحياة "[٢١٣] ، وقد يكون الاستبداد بالرأي ، وعدم الشورى ، وعدم قبول الرأي الآخر ، وعدم قبول الحجة والبرهان .

أكثر ما يمثل الطغيان السياسي هو طغيان فرعون ، فقد عانى منه بنو إسرائيل حيث سامهم سوء العذاب ، فكان يذبح أبناءهم ، ويستحي نساءهم ، وجعل أهل مصر شيعاً يستضعف طائفة منهم ، فيقرب طائفة ويبعد طائفة . قال تعالى : { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ }[٢١٤]

وقال تعالى : { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى }[٢١٥] ، وقال تعالى : { قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى }[٢١٦] .

([٢١٢]) زيدان ، **السنن الإلهية** ، ص١٩١ .

([٢١٣]) محمد عمارة ، **الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي** ، ط١ ، الهيئة المصرية ، مصر ، ١٩٧٠ م ، ص٣٧٧.

([٢١٤]) سورة القصص ، آية ١١ .

([٢١٥]) سورة النازعات ، آية ١٧.

([٢١٦]) سورة طه ، آية ٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان فرعون مستبداً ظالماً مغروراً بسلطانه ، فقد أصر على كفره وطغيانه ، إزاء دعوة موسى عليه السلام ، فقد ادعى الربوبية ، وأنه هو الإله ، قال تعالى : { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ... }[٢١٧] ، وقال تعالى : { فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى }[٢١٨] .

قصة فرعون من أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم ، فلقد كرر الله تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون في آيات كثيرة للاعتبار والاتعاظ ، وذلك لحاجة الناس إلى الاعتبار بهذه الآيات وما حلّ بفرعون الطاغية .

المطلب الثاني : طغيان البصر :

قال تعالى : { إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۞ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۞ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}[٢١٩].

من المجالات التي يدخل فيها الطغيان : طغيان البصر وهو من الميادين والمجالات الأخلاقية ، فقد ورد طغيان البصر في هذه الآيات منفياً عن بصر النبي ﷺ (وما طغى) فحرف (ما) هنا حرف نفي ، ومن باب مفهوم المخالفة توجد أبصار تطغى ، أما بصر النبي ﷺ فلم يطغ ولم يتجاوز ، ولو التفت لكان طاغياً .

ففي حادثة الإسراء والمعراج عندما عرج بالنبي ﷺ إلى السموات العلى ، ورأى من الآيات الكبرى ، كالجنة والنار وسدرة المنتهى والشجرة الملعونة (الزقوم) ، لم يمل بصره ﷺ عما رأى ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : " ما زاغ البصر وما طغى ، ما ذهب يميناً ولا شمالاً "[٢٢٠] .

وقال الطبري : " يقول تعالى ذكره : ما مال بصر محمد يعدل يميناً ، ولا شمالاً عما رأى ، أي : ولا جاوز ما أمر به فطغى "[٢٢١] . " والزيغ : الميل عن الاستقامة[٢٢٢] ، ومن سرّ حكمة مراد الله تعالى أنه قال { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى } ، ولم يقل : ما مال ، وما جاوز ، لأن الميل في ذلك الموضع ، والمجاوزة مذمومان ، فاستعمل الزيغ والطغيان فيه ، وفيه وجه آخر ، وهو أن يكون ذلك بياناً لوصول النبي ﷺ إلى سدرة اليقين ، الذي لا يقين فوقه ، ووجه ذلك أن بصر محمد ﷺ (ما زاغ) أي : ما مال عن الطريق ، فلم ير الشيء على خلاف ما هو عليه ، بخلاف من ينظر إلى عين الشمس مثلاً ، ثم ينظر إلى شيء أبيض ، فإنه يراه أصفر أو أخضر فيزيغ بصره عن

---

(٢١٧) سورة القصص ، آية ٣٨.

(٢١٨) سورة النازعات ، آية ٢٣-٢٤.

(٢١٩) سورة النجم ، آية ١٦-١٨ .

(٢٢٠) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٤ ، ص٣١٧ .

(٢٢١) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٢٧ ، ص٣٤ .

(٢٢٢) الراغب ، **المفردات** ، ص٢٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جادة الأبصـــار (وما طغى) ما تخيل المعدوم موجوداً فرأى المعدوم مجاوزاً الحد "[٢٢٣]. وهذا يعني أن النبي ﷺ قد استجاب وامتثل أمر الله تعالى وهذه الاستجابة والامتثال لأمر الله تعالى تدل على " صفة عظيمة في الثبات والطاعة ، فإنه ما فعل إلا ما أمر به ولا سأل فوق ما أعطي "[٢٢٤] ، وتدل أيضـاً على أدب وخلق الرسـول ﷺ { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }[٢٢٥] ، قال القرطبي: " هذا وصف أدب للنبي ﷺ في ذلك المقام ؛ إذ لم يلتفت يميناً ولا شمالا "[٢٢٦] .

هذه الاســـتجابة زادت الرســـول ﷺ رفعة ومكاناً ؛ فالذي يريد الســـمو والارتفاع عليه الاســـتجابة والامتثال لأمر الله تعالى ، وتجنب ما نهى عنه ، والوقوف عند حد الله تعالى ، وعدم مجاوزته إلى حدّ المعصية ، أو الكفر .

المطلب الثالث : الطغيان في الرزق :

قال تعالى : { يَا بَنِي إِسْـــرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّـلْوَى ۞ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَـبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى }[٢٢٧] .

في هذه الآيات يذكر الله تعالى نعمه ومننه ، التي أنعمها على بني إسـرائيل ، حيث منحهم منـافع دنيويـة ، فلقد أنجـاهم من فرعون ، الـذي تجبّر عليهم ، وطغى فيهم ، وأغرقه الله تعالى هو وجنوده في اليّم . فلم ينجُ أحدٌ منهم ، وأنزل عليهم المنّ والســـلوى ، ومنحهم منـافع دينيـة وأنزل عليهم التوراة ، ليحتكموا إليها ويرجعوا إليها .

قال ابن كثير : " يذكر الله تعالى نعمه على بني إسـرائيل العظام ، ومننه الجسـام ، حيث أنجاهم من عدوهم فرعون ، وأقرّ أعينهم منه ، وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة لم ينجُ منهم أحد ، كما قال تعالى { وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ }[٢٢٨] "[٢٢٩] .

واعد الله تعالى موســـى عليه السلام عند جبل الطور في البقعة المباركة ، ولكنه نســـب المواعدة إليهم مع كونها لموســـى عليه السلام " نظراً إلى ملابســـتها إياهم وســـراية منفعتهم إليهم ، فكأنهم كلهم مواعدون "[٢٣٠] ، فذهب موســى عليه السلام إلى ميقات ربه ، وترك أخاه هارون عليه السلام في بني إسـرائيل

---

(٢٢٣) الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، ج١٤ ، ص٢٩٤ .

(٢٢٤) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٤ ، ص٣١٧ .

(٢٢٥) سورة القلم ، آية ٤ .

(٢٢٦) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج١٧ ، ص٩٨ .

(٢٢٧) سورة طه ، آية ٨٠ ــ ٨١ .

(٢٢٨) سورة البقرة ، آية ٥٠ .

(٢٢٩) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٣ ، ص٢١٨ .

(٢٣٠) الألوسي ، **روح المعاني** ، ج١٦ ، ص٢٣٩-٢٤١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خليفة عليهم ، ولكن بني إسرائيل كفروا بالله وعبدوا العجل ، الذي صنعه لهم السامريّ ؛ وعندما رجع موسى عليه السلام إلى قومه عاتبهم عتاباً شديداً ، وقذف العجل في اليمّ ، وقال لقومه : " { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[٢٣١] ، ثم أمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة ، فلم يدخلوها بسبب جبنهم وضعفهم ، وقالوا : { قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ }[٢٣٢] .

فأوحى الله إلى موسى عليه السلام : " أن دعهم يتيهون في هذه البيداء ، يضربون في مجاهلها ويخبطون في نواحيها أربعين عاماً حتى يفنى كبراؤهم ، ويهلك رؤساؤهم ، ويظهر بعدهم جيل عزيز الجانب ، منيع الساحة ، وحينئذ يعودون إلى الغزو ، ويركبون متن القتال "[٢٣٣] .

عندما عاقبهم الله في التيه انزل عليهم المنّ والسلوى ، ونهاهم عن الطغيان في أكل الطيبات التي رزقهم إياها ، وذلك بتجاوز الحد فيه ، قال تعالى : { كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى }[٢٣٤] . قال الطبري في قوله تعالى { وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ } أي : ولا تعتدوا فيه ولا يظلم فيه بعضكم بعضاً "[٢٣٥] .

وقال ابن كثير : " أي : كلوا من هذا الرزق الذي رزقتكم ، ولا تطغوا في رزقي فتأخذوه من غير حاجةٍ وتخالفوا ما أمرتكم به "[٢٣٦] ، وقال البيضاوي : " ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالإخلال بشكره والتعدّي لما حدّ الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق "[٢٣٧]. وقال ابن عاشور : " ومعنى النهي عن الطغيان في الرزق : النهي عن ترك الشكر عليه ، وقلة الاكتراث بالمُنعم "[٢٣٨] .

هذه الأقوال لا تخرج عن معنى الطغيان ، وهو مجاوزة الحد في العصيان أو الكفر .

- ما المقصود بالمن والسلوى ؟!

خاض المفسرون في معنى المن والسلوى على عدة أقوال وآراء :

---

(٢٣١) سورة البقرة ، آية ٥٤ .

(٢٣٢) سورة المائدة ، آية ٢٢ .

(٢٣٣) محمد أحمد جاد المولى ، **قصص القرآن** ، ط١ ، دار القلم العربي ، حلب ، ١٩٩٢م ، ص١٤٤ .

(٢٣٤) سورة طه ، آية ٨١ .

(٢٣٥) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٦ ، ص١٤٤ .

(٢٣٦) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٣ ، ص٢١٨ .

(٢٣٧) أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت ٧٩١هـ) ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م ، ج٢ ، ص٥٥ .

(٢٣٨) ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج٧ ، ص٢٧٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن عباس ﷺ : " كان المنّ ينزل عليهم على الأشجار فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاءوا ... "[٢٣٩] .

قال مجاهد : المنّ : صمغ حلو .[٢٤٠]

قال الربيع بن أنس : المنّ : شراب كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه "[٢٤١] ، وقال الإمام الراغب في تفسير المنّ والسلوى : " المن : شيء كالطل ، فيه حلاوة يسقط على الشجر والسلوى : طائر "[٢٤٢] .

علق الإمام ابن كثير - رحمه الله - على هذه الأقوال وغيرها فقال : " والغرض أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن ؛ فمنهم من فسره بالطعام ، ومنهم من فسره بالشراب والظاهر – والله أعلم – أنه أكل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب ، وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كدّ "[٢٤٣] .

قال صلاح الخالدي : " أن المنّ : صمغ نباتي حلو يكون على الأشجار الصحراوية والسلوى طائر يشبه السماني ، وبين الصنفين تكامل غذائي ملحوظ مقصود ، فالمن يمثل : جانب النشويات والسكريات الضرورية لجسم الإنسان ، والسلوى يمثل : جانب البروتينات الضرورية للإنسان أيضاً "[٢٤٤] .

" وقد عبر القرآن عن الإنعام عليهم بهذين الصنفين بلفظ الإنزال { وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى } ، ولا يراد بالإنزال هنا الإنزال الحسي ، فهذان الصنفان لم ينزلا من السماء كالمطر وإنما المراد بالإنزال هنا : التسخير والتذليل كأنه قال : أوجدنا لكم المنّ على الأشجار ، وسقنا لكم طيور السلوى ، وسخرنا لكم كل ذلك تسخيراً وإنعاماً عليكم فصرتم تأكلون ذلك بدون كدّ ولا جهد ولا مشقة "[٢٤٥] .

الطغيان في الرزق يعني تجاوز الحدِّ ، والتعدي عليه بالكبر ، والسرف ، ومنع المستحق منه ، والذي يقوم بهذه الصفات السيئة يتعرض للعقوبة الدنيوية والأخروية ، نفهم هذا الكلام من

---

(٢٣٩) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج١ ، ص١٣٤ .

(٢٤٠) **المصدر ذاته** ، ج١ ، ص١٣٤ .

(٢٤١) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج١ ، ص١٣٤ .

(٢٤٢) الراغب ، **المفردات** ، ص٥٢٩ .

(٢٤٣) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج١ ، ص٢٤٢ .

(٢٤٤) صلاح عبد الفتاح الخالدي ، **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث** ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٨م ، ج٣ ، ص٢٢٢ .

(٢٤٥) **المرجع ذاته** ، ج٣ ، ص٢٢٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حرف الفاء الذي يفيد التعقيب فالترتيب قال تعالى : { وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى } .

قال صاحب الظلال : " ولقد هوى فرعون منذ قليل ، هوى عن عرشه ، وهوى في الماء ، والهويّ إلى أسفل يقابل الطغيان ، والتعالي ، والتعبير ينسق هذه المقابلات في اللفظ والظلّ على طريقة التناسق القرآنية الملحوظة "[٢٤٦] .

إن النعم تقتضي الحفظ والشكر فقد يسر الله لهم الأكل من طيبات الرزق الحلال ولذيذة الذي لا شبهة فيه ، فما عليهم إلا حفظ النعمة فلا يؤخذ منها أكثر من الحاجة وشكرها فلا تؤدي إلى السرف والبطر والمعصية ، وهذا هو الطغيان ، أو التجاوز إلى ما لا يجوز .[٢٤٧]

وصدق الله العظيم حيث يقول : { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }[٢٤٨] .

فبالشكر تزيد النعم وتدوم وبالكفر تحلّ النقم !

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[٢٤٩] .

المطلب الرابع : الطغيان في الميزان :

قال تعالى : { وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ }[٢٥٠] .

" ينهى الله تعالى عباده عن الطغيان في الميزان وأن لا يخسروه "[٢٥١] .

- فما المقصود بهذا الميزان ؟!

تعددت أقوال المفسرين وآرأؤهم في المقصود بالميزان على أن :

١. الميزان : هو القرآن الكريم ، لأن فيه بيان ما يحتاج إليه ، وهو قول الحسين بن فضل[٢٥٢].

---

(٢٤٦) قطب ، **في ظلال القرآن** ، ج٤ ، ص٢٣٤٦ .

(٢٤٧) الزحيلي ، **التفسير المنير** ، ج١٦ ، ص٢٥٨ .

(٢٤٨) سورة إبراهيم ، آية ٧ .

(٢٤٩) سورة البقرة ، آية ١٧٢ .

(٢٥٠) سورة الرحمن ، آية ٧-٩.

(٢٥١) عباس ، **خماسيات مختارة** ، ص٤٣٠ .

(٢٥٢) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج ١٧ ، ص١٥٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. الميزان : هو العدل ، وطغيانه الجور[٢٥٣].

٣. الميزان : هو الحُكم ، وطغيانه التحريف[٢٥٤].

٤. الميزان : هو الميزان الذي يوضع في الآخرة لوزن الأعمال[٢٥٥].

٥. الميزان: هو الميزان المتعارف عليه بين الناس ، وهو الميزان ذو الكفتين واللسان[٢٥٦].

قال فضـــل عباس : " ويظهر أن الميزان في الآيات الكريمة ، أعم من ذلك الذي يزن به الناس أشياءهم وسلعهم وما يبيعون ويشترون ، إنما هو ميزان عام ، يشمل فيما يشمل كذلك أعمال المسلم وأقواله "[٢٥٧] .

وقد ذكرت كلمة الميزان ثلاث مرات في هذه الآيات ، مرة في قوله تعالى : { وَوَضَـــعَ الْمِيزَانَ } ، ومرة في قولـه تعـالى : { أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ } ، ومرة في قولـه تعـالى : { وَلا تُخْسِـرُوا الْمِيزَانَ } وجعل بعض المفسـرين تكرار لفظ الميزان على اعتبار أنه معنى واحد ، وقد كرر اللفظ تشـديداً للتوصـية به ، وتقوية للأمر باسـتعماله والحث عليه[٢٥٨]، ومنهم من قال : أن تكرير الميزان لحال رؤوس الآيات[٢٥٩].

ولكن الإمام الرازي فرق بين المرات الثلاث لكلمة الميزان ، فقال : " والميزان ذكره الله تعالى ثلاث مرات ، كل مرة بمعنى آخر ، فالأول هو الآلة { وَوَضَـــعَ الْمِيزَانَ } ، والثاني بمعنى المصدر { أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ } أي : الوزن ، والثالث { وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ } أي : الموزون وذكر الكل بلفظ الميزان"[٢٦٠] .

---

(٢٥٣) محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**،ط١ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م ، ج٢ ، ص٧٥٢ .

(٢٥٤) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج ١٧ ، ص١٥٤ .

(٢٥٥) **المصدر ذاته** ، ج٩ ، ص١٥٤ .

(٢٥٦) السمين ، **عمدة الحفاظ** ، ج٤ ، ص٣٥٥ .

(٢٥٧) عباس ، **خماسيات مختارة** ، ص٤٣١ .

(٢٥٨) الزمخشري ، **الكشاف** ، ج٤ ، ص٤٤ .

(٢٥٩) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج١٧ ، ص١٥٥ .

(٢٦٠) الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، ج٢٩ ، ص ٣٤٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال البقاعي : " أحياناً يأتي لفظ الميزان في القرآن الكريم بصيغة المفرد باعتبار المُحاسِب ، وفي مواضع بالجمع اعتباراً بالمُحَاسبين ، كما في قوله تعالى : { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ }[٢٦١]" [٢٦٢].

وفي كثير من الآيات القرآنية يأتي لفظ الميزان مقترنا بالقرآن الكريم ، كقوله تعالى : { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }[٢٦٣] .

قال الإمام الرازي : " وبين القرآن والميزان مناسبة ، فإن القرآن فيه من العلم ما لا يوجد في غيره من الكتب ، والميزان فيه من العدل ما لا يوجد في غيره من الآلات"[٢٦٤] .

ينهى الله تعالى عباده عن الطغيان في الميزان ، { أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ } ، وذلك بتجاوز حدود الله بالجور ، أو الظلم ، أو الاستخفاف ، أو التطفيف ، ويأمرنا بأن نقيم حياتنا على العدل والإنصاف .

لقد ورد في كتاب الله عز وجل آيات تأمرنا بإيفاء الكيل والميزان ، وتنهانا عن النقص والبخس والتطفيف ، وتتوعد بالعذاب والويل ، لمن لا يستجيب لنداء الله تعالى .

قال تعالى : { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }[٢٦٥] ، فقد دعا شعيب قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ناهياً لهم عن الغش في المكيال والميزان ، إذ كانوا ينقصون المشتري أو البائع حقه باستعمال مكيال أو عيار ناقص أو زائد عن المعروف وغيرها من طرق الغش ، إذ كانوا لا يوفون في كيلهم وميزانهم ، وهذا فيه معصية الله وإضرار لعباده ، ولكنهم لم يستجيبوا ولم يذعنوا لهذا النداء فلما لم يستجيبوا جاءهم العذاب[٢٦٦] ، قال تعالى : { وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ، كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّثَمُودَ }[٢٦٧] .

([٢٦١]) سورة الأنبياء ، آية ٤٧ .

([٢٦٢]) السمين ، **عمدة الحفاظ** ، ج٤ ، ص٣٥٥ .

([٢٦٣]) سورة الحديد ، آية ٢٥ .

([٢٦٤]) الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، ج٢٩ ، ص٣٤٤ .

([٢٦٥]) سورة الأعراف ، آية ٨٥ .

([٢٦٦]) محمد سليمان الأشقر، **زبدة التفسير**، ط٣ ، دار الهجرة، السعودية ، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، ص٢٠٦-٢٠٧.

([٢٦٧]) سورة هود ، آية ٦٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى محذراً المسلمين من تطفيف الكيل والميزان : { وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }[٢٦٨] .

وبخس الميزان ونقصانه يترتب عليه أكثر من عقوبة ، منها : الأخذ بالسنين ، أي : أن تصاب الأمة بالشدة والقحط ، وأن تفقد منها البركة ، فتعيش الأمة بضنك وشدة ، ومن العقوبات أيضاً، شدة المؤونة، وهي شدة الحصول على الأرزاق ، فيصبح الناس في جوع وفوضى ، ومن العقوبات أيضاً ، حور السلطان حيث يكلفهم من الأعمال ما لا يطيقون ، ويراقبهم في تحركاتهم وأقوالهم ، عندها تصبح الأمة في ضعف وشدة وقلق .[٢٦٩]

([٢٦٨]) سورة المطففين ، آية ١-٦ .

([٢٦٩]) عباس ، **خماسيات مختارة** ، ص٤٣٠-٤٣٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني :

صنوف الطغاة

المبحث الأول : طغيان الشيطان .

المبحث الثاني : طغيان قوم نوح عليه السلام .

المبحث الثالث : طغيان قوم صالح عليه السلام .

المبحث الرابع : طغيان فرعون وقومه .

المطلب الأول : طغيان فرعون .

المطلب الثاني : طغيان قوم فرعون .

المبحث الخامس : طغيان اليهود .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول :

طغيان الشيطان

قال تعالى : { قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ۞ قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ۞ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ }[٢٧٠] . تعرض لنا هذه الآيات عما سيدور يوم القيامة من تلاوم وتلاعن وتخاصم بين الإنسان وقرينه .

- خاض المفسرون في المراد بالقرين على عدة أقوال :

١. القول الأول : أن القرين هو الملك الموكل بالإنسان .

قال المراغي : " القرين الملك الموكل بالمرء "[٢٧١] .

٢. القول الثاني : القرين هو الشيطان ، وهو قول جمهور المفسرين كالطبري والزمخشري والقرطبي والشوكاني .

قال الطبري : " قال قرين هذا الإنسان ، الكفّار المنّاع للخير ، وهو شيطانه الذي كان موكلا به في الدنيا ... ما أطغيته "[٢٧٢] ، وقال القرطبي : " وقرينه هنا ، هو شيطانه بغير اختلاف"[٢٧٣] ، ، وقال الشوكاني : " والمراد بالقرين هنا ، الشيطان الذي قيض لهذا الكافر "[٢٧٤] .

الشيطان يتبرأ من الإنسان ويدّعي بأنه ليس سبباً في ضلال الإنسان وطغيانه ، فهو لم يجبره على الطغيان ، بل السبب أن هذا الإنسان لديه القابلية للكفر والطغيان ، وأن هذا الاختصام بين الإنسان وقرينه ، لا ينفع في دار الجزاء .

لقد كذب الشيطان في هذا الإدّعاء ، وحاول التنصُل من غواية الإنسان وطغيانه ؛ فقد أقسم أن يغوي ذرية آدم جميعاً إلا عباد الله المخلصين .

قال تعالى : { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ }[٢٧٥] . وقال تعالى : { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}[٢٧٦] .

---

(٢٧٠) سورة ق ، آية ٢٧-٢٩ .

(٢٧١) أحد مصطفى المراغي ، **تفسير المراغي** ، ط١ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ح٢٦ ، ص١٦٣ .

(٢٧٢) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٢٧ ، ص ١٠٥ .

(٢٧٣) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج ١٧ ، ص١٧ .

(٢٧٤) الشوكاني ، **فتح القدير** ، ج٢ ، ص١٦٧ .

(٢٧٥) سورة ص ، آية ٨٢-٨٣ .

(٢٧٦) سورة الأعراف ، آية ١٦-١٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالشيطان يعمل جهده بكل الوسائل المُتاحة لكي يُطغي ويُضلّ البشرية لتتجاوز حدود الله في الكفر والمعاصي ، قال فضل عباس : " فهو لن يترك أحداً من مصائده ، ولكنه أقرَّ بأن فئة من عباد الله لن يستطيع إغواءها ، وهم الذين أخلصوا لله سرهم وجهرهم "[٢٧٧] .

هناك آيات أخرى تحدثنا عن تبرؤ الشيطان من الإنسان في الدنيا وفي الآخرة ، فمما يروى عن تبرؤه في الدنيا عن الإنسان ، ما جاء في قوله تعالى : { وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[٢٧٨] ، قال ابن القيم : " ولما عزموا على الخروج إلى (غزوة بدر) ذكروا ما بينهم وبين بني كنانة من الحرب ، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي ، وكان من أشراف كنانة ، فقال لهم : لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه ، فخرجوا والشيطان جار لهم لا يفارقهم ، فلما بعثوا للقتال ، ورأى عدو الله جند الله قد نزلت من السماء ، فرَّ ونكص على عقبيه ، فقالوا : إلى أين يا سراقة ؟! ألم تكن قلت إنك جارٌ لنا لا تفارقنا ؟! فقال : إنّي أرى ما لا ترون ، إنّي أخاف الله والله شديد العقاب ، وصدق في قوله : إني أرى ما لا ترون ،وكذب في قوله : إنّي أخاف الله"[٢٧٩].

أما عن تبرؤه يوم القيامة ، فقد قال تعالى : { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[٢٨٠] .

ففي هذه الآية ، يتنصل الشيطان ويتبرأ من أتباعه الذين اتبعوه ، فها هو يعترف بأنه قد أخلف وعده الذي قطعه لأتباعه بالسعادة والنجاح إن اتبعوه ، ويحملهم مسؤولية ضلالهم ، وأن لا يلقوها عليه وحده ؛ فالكل يشترك في الضلال والطغيان ، والكل يشترك في عذاب جهنم .

حقاً إن الشيطان شيطان ، فها هو يتبرأ من أتباعه في أحلك الظروف ، وأشدِّها في يوم بدر وفي يوم القيامة ! وصدق الله تعالى : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ }[٢٨١] .

فالشيطان رأس الطواغيت ، والمقدم فيهم والسيد المطاع عندهم ، وهو رأس كل فتنة ومدبر كل مكيدة للإنسان ، ليصرفه عن عبوديته لله ، وقد بدأت عداوته للبشر منذ القدم ، عندما أمره الله

---

(٢٧٧) فضل حسن عباس ، **قصص القرآن الكريم** ، ط١ ، دار القرآن ، عمان ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م ، ص٧٠ .

(٢٧٨) سورة الأنفال ، آية ٤٨ .

(٢٧٩) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، ط١ ، دار المنار مصر ، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م ، ج٢ ، ص١٢٧ .

(٢٨٠) سورة إبراهيم ، آية ٢٢ .

(٢٨١) سورة فاطر ، آية ٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالسجود لآدم فأبى واستكبر ، قال تعالى : { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ }[٢٨٢] .

والعداوة قائمة بين هذا الطاغوت وبين الإنسان ، فقد توعد إبليس الإنسان وهدده بأن يقعد له في كلّ صراط الله المستقيم فقال : { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ }[٢٨٣] فهو يعرف أن صراط الله مستقيم ، ولذلك فإنه يصدّ عنه من أراد سلوكه ليهلكه بالغواية ، والمعصية فيزين للإنسان الكفر بالله ، والبدعة في الدين ، واقتراف الكبائر والصغائر من الذنوب .[٢٨٤]

---

(٢٨٢) سورة البقرة ، آية ٣٤ .

(٢٨٣) سورة الأعراف ، آية ١٦ .

(٢٨٤) انظر ، أحمد القطان ومحمد الزين، **الطاغوت**، ط١ ، مكتبة السندس ، الكويت ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م ، ص٩٨-١٠٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني :

طغيان قوم نوح عليه السلام

قال تعالى : {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى ۞ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ۞ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ۞ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ۞ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى }[٢٨٥] .

- يخبر الله تعالى في هذه الآيات أنه قد أهلك أقواماً ، وهم :

١. قوم عاد الأولى ، وهم قوم النبي هود عليه السلام .
٢. قوم ثمود ، وهم قوم النبي صالح عليه السلام الذين تمردوا عليه ، وعقروا الناقة .
٣. قوم نوح عليه السلام ، الذي لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم فيها إلى عبادة الله تعالى وهجر أوثانهم ، فأصروا على كفرهم وطغيانهم .
٤. قوم لوط عليه السلام ، الذين ارتكبوا الفاحشة .

قال النيسابوري : " وصف الله تعالى قوم نوح عليه السلام بأنهم كانوا هم أظلم وأطغى ، فبالغ بتوسيط الفصل ، وبناء التفضيل ، لأن نوحاً عليه السلام كان أول الرسل إلى أهل الأرض ، وكان قومه أول من سن التكذيب وإيذاء النبي ، والبادي أظلم ، ومن سن سنة سيئة ، فعليه وزرها ووزر من عمل بها ، ولأنهم كانوا مجاوزين حد الاعتدال يضربون نبيهم حتى لم ير به حراك ... "[٢٨٦] .

قال قتادة في قوله تعالى : {وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى } " أي : لم يكن قبيل من الناس ، هم أظلم وأطغى من قوم نوح ، دعاهم نبي الله عليه السلام نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً ، كلما هلك قرن ، ونشأ قرن دعاهم نبي الله ، حتى ذُكِرَ لنا : أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه فيمشي به ، فيقول : يا بني ، إن أبي قد مشى بي إلى هذا ، وأنا مثلك يومئذٍ ، تتابعاً في الضلالة وتكذيباً بأمر الله "[٢٨٧] .

ذكر الله تعالى قوم عاد وقوم ثمود قبل ذكر نوح عليه السلام ، مع أن نوحاً عليه السلام وقومه كانوا قبلهم ، قال عبد الرحمن حسن الميداني : " أخبار عاد وثمود معروفة متداولة بين العرب ، ولأن آثارهم في بلاد العرب ظاهرة ومعروفة "[٢٨٨] .

([٢٨٥]) سورة النجم ، آية ٥٠-٥٤.

([٢٨٦]) النيسابوري ، **غرائب القرآن** ، ج٦ ، ص ٢١٢ .

([٢٨٧]) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٢٧ ، ص ٤٦ .

([٢٨٨]) عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني ، **معارج التفكير ودقائق التدبر** ، ط١، دار القلم ، ٢٠٠٠م ، مجلد ٢ ، ص١٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دعا سيدنا نوح عليه السلام قومه ، واستخدم أساليب ووسائل في الدعوة إلى الله تعالى ، ولكن النتيجة أنه لم يؤمن من قومه إلا القليل ، فقد لبث فيهم يدعوهم إلى عبادة الله وترك الكفر والظلم والطغيان ألف سنة إلا خمسين عاماً .

قال تعالى : {وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ }[٢٨٩] ، وقال تعالى : {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ }[٢٩٠] .

- ومن هذه الأساليب[٢٩١] التي استخدمها نوح عليه السلام :

١. أسلوب الترغيب والترهيب : قال تعالى : {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ }[٢٩٢] .

٢. أسلوب الحوار والمجادلة : قال تعالى : { قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }[٢٩٣] .

٣. أسلوب الرحمة والشفقة والتحبب : قال تعالى : { إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ }[٢٩٤] .

٤. الإلحاح والاستمرارية : قال تعالى : { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً }[٢٩٥] .

٥. أسلوب الجهر والسر : وقال تعالى : { ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ۞ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً }[٢٩٦] .

٦. أسلوب المصالح المادية : قال تعالى : { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۞ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً }[٢٩٧] .

٧. أسلوب تحريك العاطفة والوجدان : قال تعالى : { مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً }[٢٩٨] .

([٢٨٩]) سورة هود ، آية ٣٢.

([٢٩٠]) سورة العنكبوت ، آية ١٤ .

([٢٩١]) انظر جاسم مهلل الياسين وآخرون ، **رسائل فتيان الدعوة** ، ط١ ، مؤسسة الحكمة ، الكويت ،١٤١٤هـ- ١٩٩٤م ص١٢-١٣.

([٢٩٢]) سورة يونس ، آية ٧١.

([٢٩٣]) سورة هود ، آية ٣٢.

([٢٩٤]) سورة الشعراء ، آية ١٠٦.

([٢٩٥]) سورة نوح ، آية ٥.

([٢٩٦]) سورة نوح ، أية ٨-٩.

([٢٩٧]) سورة نوح ، آية ١٠ –١٢.

([٢٩٨]) سورة نوح ، آية ١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨. أسلوب لفت أنظارهم إلى الكون والطبيعة : قال تعالى : {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ۞ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ۞ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً }[٢٩٩] .

- صور ظلم وطغيان قوم نوح عليه السلام :

١. اتهموا سيدنا نوحاً عليه السلام بالضلال : قال تعالى : { قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ }[٣٠٠] .

٢. كذبوه وكذبوا بآيات الله تعالى : { فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ }[٣٠١] .

٣. قالوا بأنه ليس برسولٍ من عند الله عز وجل وإنما هو بشر : قال تعالى : { فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ }[٣٠٢] ، عجبوا من أن يكون بشراً رسولاً ، وتنقصوا من اتباعه ورأوهم أراذلهم وقولهم { بَادِيَ الرَّأْيِ } قال ابن كثير:" أي :بمجرد ما دعوتهم ، استجابوا لك من غير نظر ولا روية"[٣٠٣].

٤. طلبوا من نوح عليه السلام أن يطرد أتباعه من الفقراء فرد نوح عليه السلام عليهم : قال تعالى : { وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ }[٣٠٤] .

٥. سخروا من نوح عليه السلام : قال تعالى : { وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ }[٣٠٥]. هذه صور من ظلم وطغيان قوم نوح عليه السلام في الدنيا ، وقد أخبرنا النبي ﷺ عن ظلمهم وطغيانهم يوم القيامة فينكرون دعوته لهم وأنه ما بلغهم . روى البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : " قال رسول الله ﷺ : يجئ نوح عليه السلام وأمته فيقول الله عز وجل : هل بلغت ؟ فيقول : نعم أي رب ! فيقول لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : لا، ما جاءنا من نبي ، فيقول لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول:محمد ﷺ وأمته فتشهد أنه قد بلغ "[٣٠٦]. فنوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، دعاهم إلى

([٢٩٩]) سورة نوح ، آية ١٥ــ١٨.

([٣٠٠]) سورة الأعراف ، آية ٦٠.

([٣٠١]) سورة يونس ، آية ٧٣.

([٣٠٢]) سورة هود ، آية ٢٧ .

([٣٠٣]) ابن كثير ، **قصص الأنبياء** ، ص ٨٤ .

([٣٠٤]) سورة هود ، آية ٢٩.

([٣٠٥]) سورة هود ، آية ٣٨.

([٣٠٦]) رواه البخاري ، **الأنبياء** ، باب قول الله عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ ، حديث رقم ٣٣٣٩ ، ج٢ ، ص٣٦٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبادة الله مستخدماً الأساليب الدعوية الناجعة ، ولكنهم لا يعترفون بهذا التبليغ ؛ بل يكذبونه ، وصدق الله إذ يقول فيهم {إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى }[٣٠٧] .

المبحث الثالث :

طغيان قوم صالح عليه السلام

قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ۞وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۞الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ۞فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ }[٣٠٨] وقال تعالى : {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۞ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۞فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا۞فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا۞وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا }[٣٠٩] .

في مبحث مظاهر الطغيان ، تحدثت عن هذه الآيات ، وقلتُ أن من مظاهر الطغيان : كثرة الفساد في البلاد ، واتهام الأنبياء بالكذب ؛ فقوم ثمود كذبوا نبيهم صالحاً عليه السلام ، وأكثروا في البلاد الفساد ، ولكن سأتكلم عن هذه الآيات في موضع طغيان قوم ثمود .

بعث الله تعالى صالحاً عليه السلام نبياً ورسولاً إلى قومه ثمود ، حيث أن قومه كانوا مشركين عابدين للأوثان والأصنام ، فدعاهم إلى عبادة الله تعالى ، وهجر الأوثان والأصنام ، وقد تحدثتْ عن هذه المواجهة بين صالح عليه السلام وقومه - كثير من السور - كسورة الأعراف وهود والحجر والشعراء والنمل والفجر والشمس والإسراء وفصلت والقمر والذاريات والنجم وغيرها ، وكانت أول إشارة تتحدث عن قوم ثمود سورة الفجر،حيث وصفهم الله تعالى بأنهم{جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ}[٣١٠] وهذا يدل على قوتهم وشدة بأسهم ، فمعنى{ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَاد }قال الطبري : " أي : ثمود الذين خرقوا الصخر ودخلوه ، فاتخذوه بيوتاً ، كما قال تعالى:{ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ }[٣١١]"[٣١٢].

- أنعم الله تعالى على قوم ثمود بنعم منها :

([٣٠٧]) سورة النجم ، آية ٥٢.

([٣٠٨]) سورة الفجر ، آية ٦-١٣

([٣٠٩]) سورة الشمس ، آية ١١-١٥

([٣١٠]) سورة الفجر ، آية ٩

([٣١١]) سورة الشعراء ، آية ١٩٤.

([٣١٢]) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٣٠ ، ص١١١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. أنهم نحتوا الجبال وبنوا البيوت داخلها ، قال تعالى : { وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ }(٣١٣) .
٢. اتخذوا من السهول القصور الضخمة ، قال تعالى : { وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً }(٣١٤) .
٣. رزقهم الله تعالى الجنان والعيون والزروع والثمار ، قال تعالى : { أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ۞ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ }(٣١٥) .
٤. طلبوا من صالح آية تدل على صدق دعوته ، فأتاهم الله ناقة لها شرب ولهم شرب يوم معلوم ، قال تعالى : { وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا }(٣١٦) .

ولكن قوم ثمود جحدوا هذه النعم ، وتمردوا على الله تعالى ، وقرروا أن يعقروا هذه الناقة ، قال تعالى : { فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ }(٣١٧) وقال تعالى : { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۞ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۞ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاه ۞ فَكَذَّبُوه فَعَقَرُوهَا }(٣١٨) ، قال صلاح الخالدي : " أي كذبت ثمود نبيها صالحاً عليه السلام بسبب طغيانها واستكبارها وتمردها على ربها ، ولهذا كفرت بالله وأشركت به ، وحذرهم من إيذاء الناقة أو منعها من الشرب ، وحثهم على إكرامها وسقيها {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا } لكنهم لم يستجيبوا له ، فأقدموا على عقر الناقة ، والذي عقر الناقة واحد ، وهو أشقاهم { إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا } وهم الذين دعوه لعقرها { فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ } ولكن القرآن نسب عقر الناقة لهم جميعاً ، وأعتبرهم الله جميعاً مشتركين في جريمة عقرها متحملين نتيجة ذلك ، قال تعالى : { فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا } وقال تعالى : { فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ } ، وفي تحميلهم جميعاً مسؤولية عقر الناقة ، مع أن منفذ الجريمة أشقاهم ، دليل على (المسؤولية الجماعية) في الدنيا ، فإذا ما أقدم فرد على جناية أو جريمة ، وبخاصة إذا كان مسؤولاً ، فإن من كان راضياً بجريمته ومتابعاً له ، يكون مشتركاً معه في تحمل المسؤولية ودفع الثمن وأخذ النتيجة ، أما من أنكر عليه جريمته وأعلن براءته من ذلك فإنه قد أعذر إلى الله ونجا من الاشتراك في العقوبة "(٣١٩) .

ومن طغيان قوم ثمود أنهم أرادوا قتل نبيهم صالح عليه السلام فقد اجتمع سادتهم وعددهم تسعة وقرروا أن يقتلوه هو وأهله في الليل ، دون أن يشعر بهم أحد ، وأقسموا على ذلك ، ولكن الله لهم

---

(٣١٣) سورة الأعراف ، آية ٧٤.
(٣١٤) سورة الشعراء ، آية ١٤٦-١٤٨.
(٣١٥) سورة الإسراء ، آية ٥٩.
(٣١٦) سورة القمر ، آية ٢٩.
(٣١٧) سورة الشمس ، آية ١١-١٣.
(٣١٨) سورة الأعراف ، آية ٧٧.
(٣١٩) الخالدي ، **القصص القرآني** ، ج١ ، ص٢٨٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالمرصاد ؛ فأفشل مكرهم ومخططاتهم ، قال تعالى : { وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ۞ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۞ وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ۞ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ }[٣٢٠] .

(٣٢٠) سورة النمل ، آية ٤٨-٥١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع :
طغيان فرعون وقومه

المطلب الأول : طغيان فرعون[٣٢١] :

قال تعالى : { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى }[٣٢٢] .

وقال تعالى : { اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۞ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۞ قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ۞ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى }[٣٢٣] .

وقال تعالى : { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۞ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً ۞ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ۞ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَى ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ۞ فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى }[٣٢٤] .

قصة موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية من أكثر القصص وروداً وأكثرها تفصيلاً في القرآن الكريم ، فلقد وردت في سور كثيرة ، كسورة طه ، والنازعات ، والقصص ، ومريم والشعراء ، وغافر ، والأعراف ، ويونس ، وغيرها .

في هذه الآيات يخبرنا الله تعالى أن سيدنا موسى عليه السلام عندما رجع من مدين إلى قومه وأثناء مسيره في الطريق كلمه الله تعالى بالواد المقدس وأوحى إليه بالنبوة ، وأمره أن يذهب إلى فرعون - الذي طغى وتجبّر وجاوز حدّه في الكفر والمعاصي - ويدعوه إلى عبادة الله تعالى وإخراج بني إسرائيل .

طلب سيدنا موسى عليه السلام من ربّه أن يبعث معه أخاه هارون عليه السلام مساعداً ومعيناً له. قال تعالى : { وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ، قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ }[٣٢٥] .

توجه موسى وهارون – عليهما السلام – إلى فرعون فَدعوَاه إلى عبادة الله وإخراج بني إسرائيل بأسلوب الرفق واللين والقول الفصيح والحجة الدامغة والمعجزة الباهرة ، ولكن فرعون رفض الانصياع والاستجابة لهذه الدعوة المباركة وعتا وتجبر .

---

(٣٢١) فرعون لقب أطلق على كل من حكم مصر وكان ملكاً عليها في التاريخ الماضي.السمين،**عمدة الحفاظ**،ج٣،ص٢١٩.

(٣٢٢) سورة طه ، آية ٢٤.

(٣٢٣) سورة طه ، آية ٤٢-٤٦.

(٣٢٤) سورة النازعات ، آية ١٥-٢٥.

(٣٢٥) سورة القصص ، آية ٣٤-٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الآيات المكية جاءت تسلية للنبي ﷺ ، قال أبو حيان : " كفار قريش أنكروا البعث وتمردوا فشق ذلك على الرسول الله ﷺ فقص تعالى عليه قصة موسى عليه السلام وتمرد فرعون على الله عز وجل حتى ادعى الربوبية ، وما آل إليه حال موسى من النجاة وحال فرعون من الهلاك فكان ذلك مسلاة للرسول ﷺ وتبشيراً بهلاك من يكذبه ونجاته هو من آذاهم "[٣٢٦] .

قال الزحيلي : " وإنما ذكر الله تعالى بقصة موسى عليه السلام لأنه أبهر الأنبياء المتقدمين معجزة ولأنّ فيها تسلية للنبي ﷺ عما يلاقيه من إعراض قومه ولتهديد كفار قريش بإنزال عذاب مشابه لما أنزل بفرعون وجنوده مع أنّه أكثر جمعاً وأشدّ قوة منهم "[٣٢٧] .

لقد تحدث القرآن الكريم عن طغيان فرعون وتجبره واستكباره وعلوّه وفساده في الأرض ، وفرعون مصر ظاهرة قد تتكرر في كل مكان وفي أي زمان .

قال الخالدي : " وقد تحدثت آيات القرآن عن فرعون وملئه كثيراً وأعتبرته ظاهرة بارزة مطردة ، ويمكن أن نسميها الظاهرة الفرعونية ، وهي ليست خاصة بفرعون ، ولكنها تتكرر في أي زمان ومكان "[٣٢٨] . ويقول محمد أبو فارس : " وإنما كلمة فرعون صفة مأخوذة من الفعل فرعن ، يعني : طغى ، وبغى ، وتجبر ، وظلم "[٣٢٩] .

- وأما مظاهر طغيان فرعون فهي :

أولاً :أن فرعون علا في الأرض وتكبر واستكبر قال تعالى:{ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ}[٣٣٠]. قال أبو فارس : " فرعون أوجد المتناقضات بين شعبه وقسمه إلى فئات وطبقات يقرب طائفة ويبعد أخرى وينعم على طائفة وينقم على أخرى ، ويوجد التناحر بين هذه الفئات حتى يشغلها عن ظلمه وفسقه وفجوره".[٣٣١]

وهذا هو دأب الطغاة ، قال إمام عبد الفتاح " فلكي يحتفظ الطاغية بعرشه يقوم بتدمير روح المواطنين، وزرع الشك ، وانعدام الثقة فيما بينهم وجعلهم عاجزين عن عمل أي شيءٍ ، أو فعل أي شيءٍ ! كذلك تعويد الخسة والضعة والعيش بلا كرامة ، بحيث يسهل عليهم أن يعتادوا الذل والهوان "[٣٣٢] .

([٣٢٦]) محمد بن يوسف أبو حيان (ت٧٥٤هـ) ، **تفسير البحر المحيط** ،ط٢ ،دار الفكر ،بيروت ،١٩٨٣م ،ج٨ ، ص٤١٣.

([٣٢٧]) الزحيلي ، **التفسير المنير** ، ج٣ ، ص٣٨ .

([٣٢٨]) الخالدي ، **الأتباع والمتبوعون** ، ص١٦٥ .

([٣٢٩]) محمد عبد القادر أبو فارس ، **إن فرعون علا في الأرض** ،ط١ ،دار الفرقان ،عمان ،١٤١٨هـ- ١٩٩٨م ، ص١٣.

([٣٣٠]) سورة القصص ، آية ٤ .

([٣٣١]) أبو فارس ، **إن فرعون علا في الأرض** ، ص١٣ .

([٣٣٢]) إمام عبد الفتاح ، **الطاغية** ، مكتبة مدبولي ، ط٣ ، ١٩٩٧م ، ص١٧٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى : { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ }[٣٣٣] .

الذي دفع فرعون لهذا التصرف " هو علوه واستكباره { عَلا فِي الْأَرْضِ } والعلوَّ والاستكبار هو أخطر مرض وانحراف يصيب السادة والزعماء ، وهو أساس لكل التصرفات والممارسات الاستعلائية التي تصدر منهم بعد ذلك ، استكبار فرعون ، واستعلاؤه ، أنتج الطغيان والتجبر ، ونتج عن ذلك الفساد والإفساد وهذه هي (المتواليات) المتتابعة التي يفعلها المتبوعون المتألهون دائماً : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ }[٣٣٤] "[٣٣٥] . قال تعالى : { وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ }[٣٣٦] .

" والعلو هنا القهر والغلبة ، ولا يخفى على أهل الذوق والبلاغة ما في التعبير القرآني من سخرية واستهزاء بفرعون فالقرآن يقول :{ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ }[٣٣٧] ويقول في آية أخرى: أخرى: { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ }[٣٣٨] فهو عالٍ لكنه في الأرض" [٣٣٩].

ثانياً : أن فرعون ادعى الألوهية والربوبية وزعم أنه إله من دون الله ، وأن الأمر والنهي بيده ، وأن ما يراه هو الأقرب إلى الصواب والرشاد وما على الناس إلا أن يتبعوه فيما يُملي عليهم.

قال تعالى : { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي }[٣٤٠] .

وقال تعالى : { فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى }[٣٤١] .

وقال تعالى : { قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ }[٣٤٢] .

وقال تعالى : { قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ }[٣٤٣] .

---

(٣٣٣) سورة القصص ، آية ٤ .

(٣٣٤) سورة الفجر ، آية ٦-١٤ .

(٣٣٥) الخالدي ، **الاتباع والمتبوعون** ، ص١٦٧ .

(٣٣٦) سورة يونس ، آية ٨٣.

(٣٣٧) سورة يونس ، آية ٨٣.

(٣٣٨) سورة القصص ، آية ٤.

(٣٣٩) أبو الأعلى المودودي، **فرعون في القرآن**، ترجمة وتعريب أحمد إدريس، دار المختار الإسلامي ، القاهرة ، ص٤٦ .

(٣٤٠) سورة القصص ، آية ٣٨.

(٣٤١) سورة النازعات ، آية ٢٤.

(٣٤٢) سورة الشعراء ، آية ٢٩.

(٣٤٣) سورة غافر ، آية ٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : اغتر فرعون بماله وسلطانه وثروته وشوكته ، قال تعالى : { وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ }(٣٤٤) .

وقال تعالى : { قَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ }(٣٤٥) ؛ ففرعون بدل أن يشكر الله تعالى على هذه النعم كفر وجحد ، وظن أن الغلبة للمال والسلاح والجيش ، ونسي عظمة الله تعالى وقوته وبطشه .

رابعاً : أنه قد كذب الرسل والسحرة المؤمنين وهددهم بالقتل والصلب وكذب بالمعجزات الباهرات والدلائل على صدق رسالة سيدنا موسى عليه السلام .

قال تعالى : { فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَى }(٣٤٦) .

وقال تعالى : { وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى }(٣٤٧) .

وقال تعالى : { فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۞ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ۞ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ }(٣٤٨) .

وقال تعالى : { وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ }(٣٤٩) .

وقال تعالى : { إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى }(٣٥٠) .

قال أحمد بهجت : " هذا هو دأب الطغاة حين يواجهون الحق دائماً .. إن عقولهم تسرع إلى فكرة القتل ، على حين تسرع أيدي الأعوان إلى التقاط السيوف .(٣٥١)

خامساً : استخدم فرعون أسلوب التشكيك ، وبث الشبهات ، فقد أمر فرعون وزيره هامان أن يبني له قصراً شاهقاً لعله يصلُ إلى إله موسى ويشاهده بأمِّ عينيه ، فتكون النتيجة تكذيب موسى عليه السلام والتشكيك في دعوته .

---

(٣٤٤) سورة الزخرف ، آية ٥١.

(٣٤٥) سورة يونس ، آية ٨٨.

(٣٤٦) سورة النازعات ، آية ٢٠-٢١.

(٣٤٧) سورة طه ، آية ٥٦.

(٣٤٨) سورة الشعراء ، آية ٤٦-٤٩.

(٣٤٩) سورة غافر ، آية ٢٦.

(٣٥٠) سورة طه ، آية ٤٥.

(٣٥١) أحمد بهجت، **فرعون والطغيان السياسي**، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، دار العصر الحديث ، بيروت ، لبنان ، ص١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى : { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ }[٣٥٢] .

قال أبو حيان : " وبلوغ أسباب السماوات غير ممكن لكن فرعون أبرز ما لا يمكن في صورة الممكن تمويهاً على سامعيه ... ، ولما قال : فأطلع إلى إله موسى كان ذلك إقراراً بإله موسى عليه السلام فاستدرك هذا الإقرار بقوله : { وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً }[٣٥٣] "[٣٥٤] ، فرعون قصد من كلامه أن يصد الناس عن تصديق موسى عليه السلام والتشكيك في دعوته ، فلم يقرر ما ادعاه على سبيل الحتم والحزم وإنما ذكر ذلك على سبيل الظن والتشكيك فقال : { وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً } حتى يدب الشك عند الناس ، وعندها يفقدون الثقة بكل ما يسمعون .

المطلب الثاني : طغيان قوم فرعون :

قال تعالى : { وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ }[٣٥٥].

- اعتمد فرعون في تثبيت حكمه على أعمدة ثلاثة[٣٥٦] وهي :

١. القوة السياسية : وهي المتمثلة في وزراء فرعون وأعوانه وملئه وآله الذين كانوا يخططون للقضاء على دعوة موسى عليه السلام وأتباعه ويمثلهم (هامان) الذي يعتبر المساعد الأول لفرعون وطغيان هامان ، بسبب وزارته ، ووظيفته عند فرعون ، وتنفيذه لأوامره .
٢. القوة الاقتصادية : والمتمثلة بقارون ، فقد كان فرعون يستخدم المال أداة ضغط على رجاله وأتباعه بأسلوب الترغيب للموافق ، والترهيب للمخالف ، فطغيان قارون عن طريق الثراء والغنى والمال والكنوز .
٣. القوة العسكرية : وهي المتمثلة بجنود فرعون وجيشه وبطشه فقد كانوا يقومون بتعذيب المخالفين لفرعون أشد العذاب والتنكيل .

هذه الأمور الثلاثة جعلت فرعون يطغى ويتجبر ونسي أن الله هو الواهب لهذه الأمور فاغتر بماله وقوته وسلطانه وجيشه فدفعه إلى الطغيان والفجور وإلحاق الأذى بالمؤمنين .

---

(٣٥٢) سورة غافر ، آية ٣٦-٣٧.

(٣٥٣) سورة غافر ، آية ٣٧.

(٣٥٤) أبو حيان ، **تفسير البحر المحيط** ، ج٧ ، ص٤٦٦ .

(٣٥٥) سورة الفجر ، آية ١٠-١١.

(٣٥٦) الخالدي ، **الأتباع والمتبوعون** ، ص١٦٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه الأعمدة الثلاثة التي اعتمد عليها فرعون في نظام حكمه أطلق الله تعالى عليها في كتابه (الملأ) .

قال صلاح الخالدي : " وفي تسميتهم (الملأ) دلاله لطيفه فالكلمة مشتقة من المَلْء والامتلاء ، فهم ملأ لأنهم يملئون المنصب الذي يشغلونه ، ويمتلئ بهم ذلك المنصب ، ثم يملئون أيديهم من الحكم والمسؤولية ويتصرفون بكل شيء ، ويتحكمون في كل شيء ، ويتدخلون بكل شيء مما يخص أتباعهم فيمتلئون من كل ذلك .. وبعد ذلك يمتلئون من المنافع والمصالح والمكاسب سواء كانت مالية أو مادية أو معنوية لأن الأمر كله بأيديهم ، ثم هم (ملأ) لأنهم بهذه المراكز والمزايا والمكاسب ، يملؤون عيون أتباعهم وقلوبهم ونفوسهم مهابة وإجلالاً وخوفاً ورجاءً ورغباً ورهباً ، يرهبون الأتباع ويرعبونهم ويهددون المخالفين ويعاقبونهم ويكون الأتباع دائمي التفكير ، فهم يحسبون لهم ألف حساب ، قبل قول أي كلمة ، والقيام بأي عمل ، وبذلك يملؤون أوقات ومشاعر الأتباع وأفكارهم ومشاعرهم "[٣٥٧] .

- لقد تمثل طغيان قوم فرعون بعدة مظاهر وصور ومن هذه المظاهر[٣٥٨] :

١. أنهم أنكروا رسالة موسى عليه السلام ورفضوا دعوته واتهموه بأنه ساحر وكذاب .

قال تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ }[٣٥٩] . والعجيب في هاتين الآيتين أن الطغاة الثلاثة – فرعون وهامان وقارون – استقبلوا موسى عليه السلام بنفس الاستقبال وأجابوه بنفس الجواب : " فقالوا : ساحر كذاب " .

٢. أنهم ألغوا عقولهم وتفكيرهم جعلوها تابعة ومنقادة لرأي فرعون فاستخف بهم فأطاعوه .

قال تعالى : { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ }[٣٦٠] .

يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية : " واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه فهم يعزلون الجماهير أولاً عن كل سبل المعرفة ، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها ، ولا يعودوا يبحثون عنها ؛ ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة ، ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك ويلين قيادهم ، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين ! ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق ، ولا يمسكون بحبل الله ، ولا يزنون بميزان الإيمان ، فأما المؤمنون فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح "[٣٦١] .

([٣٥٧]) الخالدي ، **الاتباع والمتبوعون** ، ص١٧٣ .

([٣٥٨]) **المرجع ذاته** ، ص١٧٠-١٨٥ .

([٣٥٩]) سورة غافر ، آية ٢٣-٢٤ .

([٣٦٠]) سورة الزخرف ، آية ٥٤.

([٣٦١]) قطب ، **في ظلال القرآن** ، ج٥ ، ص٣١٩٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. أنهم استهزءوا بالآيات وجحدوها ووقفوا منها موقف الضاحك اللاعب الهازئ .

قال تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ }(٣٦٢) .

٤. أنهم حرضوا فرعون وألبوه على إلحاق الأذى بموسى عليه السلام وأتباعه المؤمنين .

قال تعالى : { وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ }(٣٦٣) .

٥. وصفهم الله تعالى بعدة أوصاف ذميمة .

قال تعالى: { وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ }(٣٦٤).

وقال تعالى : { ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ }(٣٦٥) .

وقال تعالى : { ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ }(٣٦٦) .

وقال تعالى : { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ }(٣٦٧) .

---

(٣٦٢) سورة الزخرف ، آية ٤٦-٤٧ .

(٣٦٣) سورة الأعراف ، آية ٢٧ .

(٣٦٤) سورة الشعراء ، آية ١٠-١١ .

(٣٦٥) سورة يونس ، آية ٧٥ .

(٣٦٦) سورة المؤمنون ، آية ٤٦-٤٦ .

(٣٦٧) سورة الزخرف ، آية ٥٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس :
طغيان اليهود

قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً }[٣٦٨] .

قال الطبري في تفسيره لهذه الآيات : " يعني بذلك جل ثناؤه ألم تر بقلبك يا محمد إلى الذين أوتوا حظاً من كتاب الله فعلموه يؤمنون بالجبت والطاغوت ، يعني : يصدقون بالجبت والطاغوت ، ويكفرون بالله وهم يعلمون أن الإيمان بها كفر والتصديق بها شرك "[٣٦٩] . هاتان الآيتان خبر عن الله تعالى عن جماعة من أهل الكتاب من اليهود، سواءً أكانوا حيي بن أخطب، أو كعب بن الأشرف ، أو غيرهما ، قد قالوا القول الجائر : أن كفار مكة أهدى وأقوم وأصوب ديناً وطريقاً من دين محمد ﷺ والذين آمنوا معه فصدقوه وأقروا بما جاءهم به نبيهم ﷺ .

- وقد خاض المفسرون[٣٧٠] في معنى { الجبت والطاغوت } كثيراً ، فكانت أقوالهم كثيرة ومتعددة ومنها :

١. أن الجبت : أصله من الجبس وهو الذي لا خير فيه فأبدلت التاء من السين .
٢. أن الجبت : هو كل ما حرم الله تعالى ، والطاغوت : كل ما يطغى الإنسان .
٣. أنهما صنمان كان المشركون يعبدونها من دون الله .
٤. الجبت : هو الكاهن ، والطاغوت : رجل من اليهود هو كعب بن الأشرف .
٥. الجبت : هو السحر ، والطاغوت : الشيطان في صورة إنسان يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم .
٦. الجبت : هو الساحر ، والطاغوت : الشيطان .
٧. الجبت : هو الشيطان ، والطاغوت الكاهن .
٨. الجبت : هو حيي بن أخطب ، والطاغوت : كعب بن الأشرف.

إذا أمعنا النظر في هذه الأقوال جميعاً لا تخرج عن الخلاصة التي ذكرتها في معنى الطاغوت : وهو كل ما عبد من دون الله تعالى برضاه .

قال الطبري في تفسير قوله تعالى { يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ } أي : " يصدقون بمعبودين من دون الله يعبدونها من دون الله ويتخذونها إلهين ، وذلك أن الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم

([٣٦٨]) سورة النساء ، آية ٥١-٥٢.

([٣٦٩]) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٤ ، ص٨١ .

([٣٧٠]) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٤ ، ص٨١ ، وأبو السعود ، **إرشاد العقل** ، ج١ ، ص١٨٩ ، والقرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج٥ ، ص٢٤١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعبادة من دون الله ، أو طاعة ، أو خضوع له ، كائناً ما كان ذلك المعظم ، من حجر ، أو إنسان أو شيطان ، وإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها كانت معظمة بالعبادة من دون الله ، فقد كانت جبوتاً وطواغيت ، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله ، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالا في أهل الشرك بالله ، وكذلك حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ، لأنهما كانا مُطاعيْن في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله ، فكانا جِبْتيْن وطاغوتين "[٣٧١] .

هؤلاء الذين ادّعوا بأن دين قريش أقوم وأفضل من دين محمد ﷺ ، سيستمرون في مقولتهم في كل زمان ومكان ، ونفهم هذا من الفعل المضارع (يقولون) الذي يفيد التجدد والاستمرار كما يقول علماء البلاغة .

ونفهم من هذه الآيات مدى العلاقة ما ين اليهود والكفار في محاربتهم الإسلام وأهله ،ولكن أنّى لهم ذلك ؟ فقد لعنهم الله وطردهم من رحمته { أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً } .

قال أبو السعود في هذه الآية : { فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً } يدفع عنه العذاب دنيوياً كان أو أخروياً لا بشفاعة ولا بغيرها ، وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش ، وفي كلمة (لن) وتوجيه الخطاب إلى كل أحد ممن يتسنى له الخطاب وتوحيد النصير منكراً والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسنداً إلى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الأبدي بالكلية ما لا يخفى "[٣٧٢] .

ونفهم من هذه الآية أن معظم أتباع الطاغوت وأعوانه غالبهم من اليهود ، فقد كان اليهود يتبعون الباطل الذي يشرعه لهم السحرة والكهان والأحبار ، فهم أتباع الطاغوت وهي تلك الشرائع الطاغية التي شرعها لهم شياطينهم من الإنس والجنّ .[٣٧٣]

([٣٧١]) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٤ ، ص٨٥ .

([٣٧٢]) أبو السعود ، **إرشاد العقل** ، ج١ ، ص١٨٩ .

([٣٧٣]) بتصرف ، أحمد القطان ، **الطاغوت** ، ص٣٥-٣٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ومن مظاهر طغيان اليهود :

١. أنهم قالوا عن الله تعالى بأنه فقير وبخيل ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فقالوا:{ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ }[٣٧٤] كناية عن البخل وعدم العطاء ، ولكن { غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا }[٣٧٥] قال عبد الله شحاته : " وهو دعاء عليهم بالشح المرير وبالبخل الشنيع بأن يخلق سبحانه فيهم الشح الذي يجعلهم منبوذين من الناس ، ومن ثم كان اليهود أبخل خلق الله وحكم عليهم بالطرد من رحمة الله تعالى ... وهذه الجملة تعليم من الله لنا بأن ندعو على من فسدت قلوبهم وأساءوا الأدب مع خالقهم ورازقهم ، فقالوا في شأنه ما هو منزه عنه"[٣٧٦] .

٢. أن كثيراً منهم لا تزيده الآيات البينات إلا طغياناً وكفراً حسداً من عند أنفسهم وعناداً وجحوداً لرسالة محمد ﷺ فهم متجاوزون حدودهم في الكفر والمعاصي بسبب عنادهم وجحودهم وغلوهم في إنكار ما قد علموا صحته من نبوة محمد ﷺ والتمادي في ذلك .

قال الطبري : " أعلم تعالى ذكره نبيه أنهم أهل عتو وتمرد على ربهم ، وأنهم لا يُذعنون لحقٍّ وإن علموا صحته ، ولكنهم يعاندونه ، يسلِّي بذلك نبيّه محمداً ﷺ عن الموجدة في ذهابهم عن الله وتكذيبهم إياه "[٣٧٧] .

٣. ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء والشحناء إلى يوم القيامة فهم متناحرون فيما بينهم وبين غيرهم " فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم أبداً إلى يوم القيامة[٣٧٨] ، وصدق الله إذ يقول فيهم { تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى }[٣٧٩] ؛ فالخصومات والمنازعات فيما بينهم كثيرة .

قال الصابوني : " أي : وليزيدنهم هذا القرآن الذي أنزل عليك يا محمد كفراً فوق كفرهم وطغياناً فوق طغيانهم ، إذ كلما نزلت آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم كما أن الطعام للأصحاء يزيد المرضى مرضاً "[٣٨٠] .

يقول سيد قطب : " وما تزال طوائف اليهود متعادية ، وإن بدا في هذه الفترة أن اليهودية العالمية تتساند وتوقد نار الحرب على البلاد الإسلامية وتفلح ! ولكن ينبغي ألا ننظر إلى فترة قصيرة

([٣٧٤]) سورة المائدة ، آية ٦٤.

([٣٧٥]) سورة المائدة ، آية ٦٤.

([٣٧٦]) عبد الله شحاته ، **تفسير القرآن الكريم** ، ط١ ، دار غريب ، القاهرة ، ج٣ ، ص١١١٨-١١١٩ .

([٣٧٧]) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٥ ، ص٨٨ .

([٣٧٨]) محمد سيد طنطاوي ، **تفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، دار المعارف ، القاهرة ، ج٦ ، ص٣٢٠ .

([٣٧٩]) سورة الحشر ، آية ١٤ .

([٣٨٠]) محمد علي الصابوني ، **صفوة التفاسير** ، دار الصابوني ، ج١ ، ص٢٣٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الزمان ولا إلى مظهر لا يشتمل على الحقيقة كاملة ، ففي خلال ألف وثلاثمائة عام .. بل من قبل الإسلام واليهود في شحناء وذل كذلك وتشرد .. "[٣٨١] .

٤. أنهم كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، قال ابن كثير : " فهم كلما عقدوا أسباباً يكيدونك بها وكلما أبرموا أموراً يحاربونك بها أبطلها الله ورد كيدهم عليهم ،وحاق مكرهم السيئ بهم"[٣٨٢] .

٥. أنهم يسعون في الأرض فساداً ، فهم دائمو الاجتهاد والعمل في إفساد الشعوب ؛ فالفعل : (يسعون) فعل مضارع ، يدل على التجدد والاستمرار في فسادهم وإفسادهم .

٦. أنهم يكثرون القتل والاغتيال فهم قتلة الأنبياء ، وقتلة الدعاة إلى الله تعالى ،قال تعالى:{ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ }[٣٨٣].

٧. أنهم يتسترون خلف الأديان ، فهم يدّعون أنهم أتباع إبراهيم وموسى – عليهما السلام – ، وهما براء منهم ومما يعبدون .

٨. أنهم يثيرون الفتن والحروب والثورات ، فما من فتنة قديماً وحديثاً إلا واليهود لهم فيها يدٌ ، وأنهم ينشئون الجمعيات السرية للفتك بالإسلام وأهله ، كالماسونية ، والروتاري ، والليونز ، فكلها من إنشاء اليهود .

٩. أنهم يشيعون الفاحشة والرذائل في المجتمعات ويبثون النظريات الهدامة والأفكار الخبيثة ، قال الشعراوي : " ومن يقرأ (برتوكولات حكماء صهيون) يجد اعترافاتهم بأنهم أصحاب النظريات التي تقود إلى الأفكار الخاطئة ، كالماركسية والوجودية والدارونية ، وهي أمور مرتبة من قبل ليظهر أثرها الضار في الشعوب غير اليهودية [٣٨٤]" .

([٣٨١]) قطب ، **في ظلال القرآن** ، ج٢ ، ص٩٣٠ .

([٣٨٢]) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٢ ، ص٧٠ .

([٣٨٣]) سورة المائدة ، آية ٧٠.

([٣٨٤]) محمد متولي الشعراوي ، **تفسير الشعراوي** ، دار أخبار اليوم ، ١٩٩١م ، ج٦ ، ص٣٢٧٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث :

مواجهة الطغاة وعاقبتهم

المبحث الأول : مواجهة الطغاة

المبحث الثاني : عاقبة الطغاة

المطلب الأول : عاقبة الطغاة في الدنيا

المطلب الثاني : عاقبة الطغاة في الآخرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول :
مواجهة الطغاة

تمهيد :

بعد أن عرفنا في الفصول السابقة من هم الطغاة ، والأسباب التي أدت بهم إلى الطغيان وأهم مظاهر طغيانهم وصوره ، فلابد أن نتعرف على طريقة الدعوة معهم .

- الدعوة بالقول باللين :

قال تعالى : { اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۞ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى }[٣٨٥] ، وقال تعالى : { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى}[٣٨٦] .

في هذه الآيات يأمر الله تعالى موسى وهارون – عليهما السلام – بالذهاب إلى فرعون الذي تجبر وتجاوز الحد في الكفر ، متسلحين بعُدة الإيمان والذكر { وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي }،" أي : لا تضعفا ولا تقصرا "[٣٨٧] ، " وذلك ليكون عوناً لهما عليه وقوة لهما وسلطاناً كاسراً له "[٣٨٨] .

والحكمة من ذكر جلال الله أن من ذكر الله استحقر غيره فلا يخاف أحداً ، ولأن من ذكر جلال الله تقوى روحه بذلك الذكر ، فلا يضعف في المقصود[٣٨٩] .

ولقد أمرهما الله تعالى أن يخاطبا فرعون الطاغية بالقول اللين ، ولكن ما هو القول اللين؟!

- تعددت آراء المفسرين بذلك إلى عدة أقوال ، هي :

١. أن يكنياه ، وهذا قول علي بن أبي طالب ﷺ ، وسفيان الثوري ، والكلبي والطبري .[٣٩٠]

٢. أن يقولا له : قل لا إله إلا الله ، وهو قول عكرمة .[٣٩١]

٣. أن يقولا له : إني إلى العفو والمغفرة أقرب منّي إلى الغضب والعقوبة ، وهو قول وهب بن منبه .[٣٩٢]

٤. أن يقولا له : إنّ لك ربّاً ولك معاداً ، وإنّ بين يديك جنة وناراً .[٣٩٣]

([٣٨٥]) سورة طه ، آية ٤٢- ٤٥ .

([٣٨٦]) سورة النازعات ، آية ٣٧ – ٣٩ .

([٣٨٧]) أبو حيان ، **تفسير البحر المحيط** ، ج٦ ، ص٢٣٠ .

([٣٨٨]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٣ ، ص١٣٣ .

([٣٨٩]) الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، ج٢ ، ص٥٢ .

([٣٩٠]) الطبري ، **جامع البيان** ، ج١٦ ، ص١٢٨ / ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٣ ، ص١٤٢ / الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، ج٢٢ ، ص٥٦ .

([٣٩١]) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج ٣ ، ص١٤٢ .

([٣٩٢]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، ج ٣ ، ص١٤٢ .

([٣٩٣]) **المصدر السابق** ، ج٣ ، ص١٤٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥. القول اللين : هو قول موسى عليه السلام : يا فرعون ، إنا رسولا رب العالمين .[٣٩٤]

٦. القول اللين هو: ما حكى الله تعالى بعضه { فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى } وهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .[٣٩٥]

قال ابن كثير : " والحاصل من أقوالهم : أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين سهل رفيق ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع "[٣٩٦] .

وقال سيد قطب : " القول اللين الذي لا يثير العزة بالإثم ، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة "[٣٩٧] .

كان فرعون في نهاية العتو والتكبر ، وموسى عليه السلام صفوة الله من خلقه ومع ذلك أمرهما الله تعالى أن يخاطبا فرعون بالرفق واللين وذلك لحكم عديدة :

١. لأن دعوة الجبابرة تتطلب عادة التلطف والرفق والمداراة لتخفيف غلوائهم ، واستنزال شيء من عتوهم وتجبرهم ، فيحصل الداعي على مرغوبه ، ويظفر بمطلوبه .[٣٩٨]

٢. أنه عليه السلام كان قد رباه فرعون ، فأمر أن يخاطبه بالرفق ، رعاية لتلك الحقوق .[٣٩٩]

قال ابن عاشور : " واللين حقيقة من صفات الأجسام ، وهو رطوبة ملمس الجسم وسهولة ليّه ، وضد اللين الخشونة ، ويستعار اللين لسهولة المعاملة والصفح ، واللين من شعار الدعوة إلى الحق ، ومن اللين في دعوة موسى عليه السلام لفرعون قوله تعالى { فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى }[٤٠٠] وقوله : { وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى }[٤٠١] إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى ، فإذا لم ينفع اللين مع المدعو ، وأعرض واستكبر جاز في موعظته الإغلاظ معه .[٤٠٢]

استجاب موسى عليه السلام لأمر ربه بالذهاب إلى فرعون ، ومخاطبته بالرفق واللين ، فقد راعى المنزلة التي يحتلها فرعون ، فاستخدم الأساليب الناجعة لعل فرعون يتذكر أو يخشى فيرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة أو يخشى الله فيطيعه ، ومن هذه الأساليب التي استخدمها :

١. أنه استخدم حرف الاستفهام التخييري (هل) وفيه العرض التخييري لا التكليف الإلزامي[٤٠٣].

---

(٣٩٤) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج١١ ، ص١٣٤ .

(٣٩٥) **المصدر السابق** ، ج١١، ص١٣٣ .

(٣٩٦) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٣ ، ص١٤٢ .

(٣٩٧) بتصرف ، قطب ، **في ظلال القرآن** ، ج٤ ، ص٢٣٣٦ .

(٣٩٨) أنظر، بتصرف ، الزحيلي ، **التفسير المنير** ، ج ٣ ، ص٣٨ .

(٣٩٩) الرازي ، **التفسير الكبير**، ج٢٢ ، ص٥٦ .

(٤٠٠) سورة النازعات ، آية ١٨-١٩ .

(٤٠١) سورة طه ، آية ٤٧ .

(٤٠٢) ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج١٦ ، ص٢٠٩ .

(٤٠٣) الميداني ، **فقه الدعوة إلى الله** ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٦م ، ج١، ص٦٢١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. أن جملة { هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى } فيها لطف في الاستدعاء ، لأن كل عاقل يجيب على مثل هذا السؤال (بنعم) .[٤٠٤]

٣. (لك) كلمتان ، الأولى : حرف جر ، والثانية : كاف خطاب ، وقد كان من الممكن الاستغناء عنهما لكن التلطف بتطويل مقدمات العرض التكريمي استدعاهما .[٤٠٥]

٤. (إلى ، أن) كلمتان ، الأولى : حرف جر ، والثانية : حرف ناصب للفعل المضارع ، ويؤول مع الفعل المضارع بمصدر ، وقد كان من الممكن الاستغناء عنهما ، ولكن التلطف بتطويل مقدمات العرض التكريمي استدعاهما .[٤٠٦]

٥. (تزكى) هنا بدأ عرض المقصود بالذات ، ومع ذلك قد حصل فيه اختصار ، وتقليل في اللفظ إذ أصل الفعل تتزكى فحذفت إحدى التاءين اختصاراً .[٤٠٧]

هناك لفتات قرآنية تؤكد على أن الرفق واللين ، ومجانبة الغلظة والشدة في الدعوة لها الأثر الفعال في المخاطبين ، فقد أمر الله تعالى محمداً ﷺ بالتزام الحكمة في دعوة الناس ، قال تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[٤٠٨] .

قال ابن كثير : " أي : من احتاج منهم إلى مناظرة ، وجدال ، فليكن بالوجه الحسن برفق ، ولين ، وحسن خطاب "[٤٠٩] .

واللين لا يعني المداهنة والرياء والنفاق ، وإنما هي ليونة القول في الأسلوب ، وليس في المضمون ، قال صلاح الخالدي : " القول اللين هو في أسلوب التعبير ، وفي كيفية القول ، وفي نبرة الصوت ، ليكونَ لينٌ القول ورقته سبباً إلى استماع فرعون له ، وتأثره به ليس القول اللين في ماهية القول ، ولا في مضمون العبارة ، ولا في حقائق الفكر والتصور ، فهذا المضمون لا يقبل الليونة ، لأنّ الليونة فيه تعني التحريف والتغيير والتبديل ، الليونة في المضمون أن يمدح موسى فرعون ، وأن يصفه بالخير والحكمة والاستقامة وان يرضى بما هو عليه من طغيان وتجبر وتأله ، وأن يداهنه ويرضيه ، وأن يكتم الحق أمامه ، وحاشا لموسى عليه السلام أن يفعل ذلك لقد كانت ليونة

---

(٤٠٤) أبو حيان ، **البحر المحيط** ، ج٨ ، ص٤١٣ .

(٤٠٥) الميداني ، **فقه الدعوة** ، ج١، ص٦٢١ .

(٤٠٦) **المرجع ذاته** ، ج١ ، ص٦٢١ .

(٤٠٧) **المرجع ذاته** ، ج١ ، ص٦٢١ .

(٤٠٨) سورة النحل ، آية ١٢٥ .

(٤٠٩) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٣ ، ص١٤٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موسى عليه السلام أمام فرعون في القول لا في المضمون وفي كيفية التعبير لا في ماهيته وحقيقته ، وقد دعاه بالحكمة "[٤١٠] .

أسلوب قول اللين والحكمة قد يتغير إذا لم ينفع مع الطغاة ، فهذا موسى عليه السلام عندما رأى أن الحجة والمخاطبة لفرعون لم تنجح أغلظ لفرعون في القول ، وقال له : { وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً }[٤١١] والثبور[٤١٢] هو : الهلاك والفساد .

وقد تستخدم القوة مع الطغاة ، كما في قوله تعالى : { وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ۞ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً }[٤١٣] .

في هذه الآيات تحفيز للهمم وحث على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله تعالى ، قال ابن كثير : " يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله والسعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين بالمقام بها "[٤١٤] .

- إذا ما أمعنا النظر في هذه الآيات فيتبين لنا :

١. الفرق الواضح بين الذي يقاتل في سبيل الله والذي يقاتل في سبيل الطاغوت من حيث الغاية والنتائج .

قال الرازي : " واعلم أنه تعالى لما بين وجوب الجهاد بين أنه لا عبرة بصورة الجهاد بل العبرة بالقصد والداعي ، فالمؤمنون يقاتلون لغرض نصرة دين الله وإعلاء كلمته، والكافرون يقاتلون في سبيل الطاغوت "[٤١٥] .

قال ابن عاشور : " ومعنى في سبيل الله : لأجل دينه ولمرضاته "[٤١٦] .

---

(٤١٠) الخالدي ، **القصص القرآني** ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ .

(٤١١) سورة الإسراء ، آية ١٠٢ .

(٤١٢) الراغب ، **المفردات** ، ص٧١.

(٤١٣) سورة النساء ، آية ٧٥-٧٦ .

(٤١٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، ج١ ، ص٦٨٧ .

(٤١٥) الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، ج ٢، ص٢٣٥ .

(٤١٦) ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج٥ ، ص١٧٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال سيد قطب : " معنى في سبيل الطاغوت : أي القتال الذي يكون لتحقيق مناهج شتى – غير منهج الله وإقرار شرائع شتى غير شريعة الله – وإقامة قيم شتى غير التي أذن بها الله ونصب موازين شتى غير ميزان الله "[٤١٧] .

وقال أبو زهرة : " فالقتال في ظل الدين والتمسك بمثله العليا ، رفعة للإنسانية ومنع الفساد ، ومنع تحكم الرذيلة في الفضيلة والماضي ينبئ عن ذلك فقتال النبي ﷺ والصحابة من بعده كان منه حدّ من طغيان الملوك وظلم الظالمين ، ونشر للواء العدل ، ومنع للفتنة في الدين وتحكم الإنسان في إنسية الإنسان ، وقد وصف الله المؤمنين إذا انتصروا ، فقال سبحانه وتعالى في أحوالهم {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ }[٤١٨]

أي : أنهم إذا انتصروا رفعوا لواء العدل وأقاموا مجتمعاً فاضلاً على أساس من الفضيلة ودفع الرذيلة . وأما الذين لا يذعنون للحق ولا يؤمنون به ، ولا يقيمون للفضيلة وزناً فإن قتالهم في سبيل الغلب ، والسلطان الغاشم ، والتحكم والسيطرة وإن الماضي والحاضر يشهدان بصدق ذلك "[٤١٩] .

وقال حسن البنا : " فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية ولكن حماية للدعوة وضماناً للسلم وأداء للرسالة الكبرى التي حمل عبئها المسلمون رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل ، وإن الإسلام كما فرض القتال أشاد بالسلام فقال تبارك وتعالى : { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ }[٤٢٠] كان المسلم يخرج للقتال وفي نفسه أمراً واحداً أن يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا ، وقد فرض دينه عليه أن لا يخلط بهذا المقصد غاية أخرى ، فحب الجاه عليه حرام ، وحب الظهور عليه حرام ، وحب المال عليه حرام ، والغلول من الغنيمة عليه حرام ، وقصد الغلب بغير الحق عليه حرام ، والحلال أمر واحد أن يقدم دمه وروحه فداءً لعقيدته وهداية للناس "[٤٢١] .

([٤١٧]) قطب ، **في ظلال القرآن** ، ج٣ ، ص ١١١٣ .

([٤١٨]) سورة الحج ، آية ٤١ .

([٤١٩]) محمد أبو زهرة ، **زهرة التفاسير** ، ، ط١ ، دار الفكر العربي ، مصر ، ج٥ ، ص٣٢٧ .

([٤٢٠]) سورة الأنفال ، آية ٦١ .

([٤٢١]) حسن البنا ، **رسالة الجهاد** ، ط١ ، دار الأرقم ، عمان ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م ، ص٣٦-٣٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. أن معظم المفسرين[٤٢٢] قالوا بأن القرية الظالم أهلها هي مكة المكرمة .

قال الرازي : " وأجمعوا على أن المراد من هذه القرية الظالم أهلها مكة ، وكون أهلها موصوفين بالظلم يحتمل أن يكون لأنهم كانوا مشركين قال تعالى : { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }[٤٢٣] وأن يكون لأجل أنهم كانوا يؤذون المسلمين ويوصلون إليهم أنواع المكاره "[٤٢٤] .

٣. أن المراد بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان قوم من المسلمين بقوا في مكة وعجزوا عن الهجرة إلى المدينة وكانوا يلقون من كفار مكة أذى شديداً .

٤. أن الذي يقاتل في سبيل الطاغوت فهو من أولياء الشيطان فهو يقاتل في طاعة الشيطان بينما المؤمن فهو يقاتل في طاعة الرحمن .

٥. أن كيد الشيطان ضعيفاً : قال ابن عاشور : " والمراد بكيد الشيطان تدبيره وهو ما يظهر على أنصاره من الكيد للمسلمين والتدبير لتأليب الناس عليهم "[٤٢٥] ، في مكة مكث النبي ﷺ يدعو إلى الإسلام ثلاثة عشر سنة وكانت الأصنام حول الكعبة ولكنه لم يستعمل القوة في تغيير المنكر ولم يحطم الأصنام ولكن عندما جاء الوقت المناسب لتحطيمها ، كسرها ، وذلك بعد أن أصبحت له قوة ومنعة ودولة .

- إن استخدام القوة في الدعوة إلى الإسلام له ضوابط ، يجب أن يقف عندها أهل الدعوة ويتأملوها بدقة متناهية ، وهذه الضوابط هي :

١. قال تعالى : { وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ }[٤٢٦] ، قال ابن كثير : " أي : قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك ، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي من المثلة ، والغلول ، وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم ، والرهبان ، وأصحاب الصوامع ، وتحريق الأشجار ، وقتل الحيوان لغير مصلحة .[٤٢٧]

---

(٤٢٢) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج١ ، ص٦٨٧ /والرازي ،**مفاتيح الغيب** ،ج٢ ،ص٣٢٥ /وابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج٥ ، ص١٧٨ .

(٤٢٣) سورة لقمان ، آية ١٣ .

(٤٢٤) الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، ج٢ ، ص٢٢٦ .

(٤٢٥) ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج٥ ، ص١٧٨ .

(٤٢٦) سورة البقرة ، آية ١٩٠ .

(٤٢٧) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج١ ، ص٢٢٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن بريدة ﷺ قال : " كان النبي ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية ، أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : " اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ... "[٤٢٨] .

٢. قال تعالى:{ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ }[٤٢٩] ، قال القحطاني : " فإذا كان بين المسلمين والكفار عهد أو أمان، فلا يجوز للمسلمين الغدر حتى ينقضي الأمد، فإن خاف المسلمون من أعدائهم خيانة ، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة ، فحينئذ يخبرهم المسلمون أنه لا عهد بيننا وبينكم حتى يستوي علم المسلمين ، وعلم أعدائهم بذلك "[٤٣٠] .

٣. ملاحظة المصالح والمفاسد قبل الإقدام على استخدام القوة ، فإذا كانت المصالح أقل من المفاسد ، وسيترتب عليه مفسدة عظيمة ترك قتلهم .

يقول جمعة أمين:" نهى الله سبحانه تعالى المؤمنين في مكة عن الانتصار باليد ، وأمرهم بالعفو ، والصفح ، لئلا يكون انتصارهم ذريعة إلى وقوع ما هو أعظم مفسدة من الإغضاء واحتمال الضيم ، ومصلحة حفظ نفوسهم ودينهم وذريتهم راجحة على مصلحة الانتصار والمقاتلة ، لذلك كف ﷺ عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة ، لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه ، وقولهم إن محمداً ﷺ يقتل أصحابه ، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل "[٤٣١].

٤. مراعاة التدرج في التغيير ، فقد بقي الرسول ﷺ في مكة ثلاثة عشر سنة يدعو الناس بالحجة والبيان ، ولكن عندما أصبحت له قوة ومنعة ودولة ، جاهد الكفار بالحجة والبيان وبالسيف والسنان. قال ابن تيمية : " فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف ، أو في وقت هو فيها مستضعف ، فليعمل بآية الصبر ، والصفح ، والعفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين ، وأما أهل القوة ، فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون "[٤٣٢] .

---

(٤٢٨) رواه مسلم ، **كتاب الجهاد والسير** ، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ، حديث رقم ١٧٣١، ج٣ ، ص١٠٩٢ .

(٤٢٩) سورة الأنفال ، آية ٥٨ .

(٤٣٠) سعيد بن علي القحطاني ، **الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى** ، ط١ ، دار الإيمان ، الإسكندرية ، ١٩٩٢م ، ص٥٣٠ .

(٤٣١) جمعة أمين ، **الدعوة قواعد وأصول** ، ط١ ، دار الدعوة ، مصر ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م ، ص٩٩ .

(٤٣٢) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**،دار الجليل،بيروت،١٩٧٥م،ص ٢١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني :
عاقبة الطغاة

بعد أن تعرفنا على منهجية التعامل مع الطغاة وطرق مواجهتهم ، إما بالقول اللين ، وإذا لم ينفع هذا الأسلوب ، يُستخدم أسلوب القوة ، ولكن ضمن الضوابط التي أشرت إليها سابقاً نتعرف على سنة الله في الطغاة ، وهي إنزال العقاب فيهم في الدنيا ، فهي سنة ماضية لا تتخلف جرت على الطغاة السابقين ، وستجري على الحاضرين والقادمين فلن يفلت أحد منهم من عقاب الله في الدنيا ، كما لا يفلت أحد منهم من عقاب الآخرة .[٤٣٣]

العاقبة : من عقبه ، أي : تلاه نحو دبره وقفاه ، والعاقبة والعقبى مختصان بالثواب والعاقبة في الثواب إذا أطلقت كقوله تعالى : { وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }[٤٣٤] فإذا وردت في العقوبة وقُدّرت قال تعالى : { فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ }[٤٣٥] والعُقوبة والعِقاب والمعاقبة مختصة بالعذاب كقوله تعالى { فَحَقَّ عِقَابِ }[٤٣٦] "[٤٣٧] .

- والعقاب للطغاة على نوعين[٤٣٨] ، هما :

١. عقاب استئصال : وهو ذهاب أمة بكاملها ، فيهلك جميع أفرادها ، ولكن يبقى الصالحون ، مثل هلاك قوم نوح عليه السلام وثمود .
٢. عقاب دون الاستئصال : وهو العقاب الذي لا يؤدي إلى زوال الأمة كما حصل مع قريش واليهود والمنافقين .

الطغاة لا بد أن يتعرضوا لعقاب الله تعالى في الدنيا أو في الآخرة ، لأنها سنة الله تعلى التي لا تتبدل ولا تتغير { وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً }[٤٣٩] ولكن ما صور وأشكال هذين العقابين في الدنيا أو في الآخرة ؟

المطلب الأول : عاقبة الطغاة في الدنيا :

تعددت أنواع وصور عقاب الطغاة في الدنيا ، وعند استقرائي للآيات التي ذكرت مادة (طغى) واشتقاقاتها وجدتُ أن عاقبة الطغاة في الدنيا :

أولاً : التلاوم وذهاب النعمة :

---

(٤٣٣) زيدان ، **السنن الإلهية** ، ص١٩٤ .
(٤٣٤) سورة القصص ، آية ٨٣ .
(٤٣٥) سورة الحشر ، آية ١٧ .
(٤٣٦) سورة ص ، آية ١٤ .
(٤٣٧) السمين ، **عمدة الحفاظ** ، ج٣ ، ص١٠١ .
(٤٣٨) سعيد سيلا ، **أسباب هلاك الأمم السالفة** ، ص٥٣ .
(٤٣٩) سورة الأحزاب ، آية ٦٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى : عن قصة أصحاب الجنة في سورة القلم : { فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ۞ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ۞ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۞ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ }(٤٤٠) .

تحكي لنا هذه الآيات أن سنته تعالى في الغابرين وسنته في الحاضرين أن الطاغين المتجاوزين حد الله ، والبطرين الذين لا يؤدون شكر الله تعالى إنزال العقاب الذي يستحقونه جزاء طغيانهم وكفرانهم نعم الله تعالى .

وهذه الآيات عبرة لأهل قريش ولغيرهم ، فلقد ابتلى الله تعالى أصحاب الجنة (البستان المثمر) بنعمة المال ، ولكنهم بطروا ، وطغوا ، فعاقبهم الله تعالى بزوال هذه النعمة ، لتكون درساً لهم ولغيرهم ، بأن النعم تقتضي الشكر ، وليس المنع ، والبخل ، وأن الجحود يؤدي إلى زوال النعم ، فهؤلاء عزموا ليلاً على قطع الثمار عند الصباح الباكر ، دون أن يستثنوا منها شيئاً للمساكين ، وأقسموا على هذا ، فانطلقوا وهم يتخافتون ، قال فضل عباس : " قوله تعالى { وهم يتخافتون } فما أكثر ما تعطيه هذه الجملة ، وما تلقيه من ظلال ، فعلى الرغم من أنهم وحدهم سائرون في الصباح لا يسمعهم أحد ، ومع ذلك فهم يتسارون فيما بينهم ، ولا داعي لهذا الإسرار ولا حاجة له ، ولكن القرآن يصور لنا هذا الجشع ، وتلك الأنانية وذلك الشح "(٤٤١) .

هؤلاء عندما رأوا جنتهم وما حلّ بها ليلاً أصبح يلوم بعضهم بعضاً وكل واحد منهم يلقي التبعة ويوجه اللوم على غيره { فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ }(٤٤٢).

قال ابن كثير : " أي : يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ (القطف) فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب { قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ }(٤٤٣) أي : اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا (٤٤٤)".

ولكن هذا التلاوم وهذه الحسرة لا تنفع الآن ، وقد ذهبت جنتهم وما عليهم إلا أن يصححوا مسارهم ، ويرجعوا إلى الله تعالى عسى أن يغفر لهم ، ويعوضهم جنة غير التي أصابها ما أصابها { عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ }(٤٤٥) .

---

(٤٤٠) سورة القلم ، الآية ٢٦-٣٢ .

(٤٤١) عباس ، **قصص القرآن الكريم** ، ص٧٢٦ .

(٤٤٢) سورة القلم ، آية ٣٠ .

(٤٤٣) سورة القلم ، آية ٣١ .

(٤٤٤) ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٤ ، ص٣٨٢ .

(٤٤٥) سورة القلم ، آية ٣٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ضرب الله هذه القصة مثلاً للذين ينسون حقوق الله ، وحقوق عباده في رزقهم وينسون أن الرزق من عند الله ، وليس من جهة الإنسان وعلمه ، أو تدبيره .

ثانياً : إنزال العذاب بهم :

قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ }[٤٤٦] .

جمع الله في هذه الآيات القصار مصارع أقوى الجبارين الذين عرفهم التاريخ ، وهم عاد إرم ، وثمود ، وفرعون ، وقد انتقم الله منهم ، وأحل بهم نقمته جزاء طغيانهم وفسادهم .

هؤلاء هم الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب، وقد عبر تعالى عن العذاب الواقع عليهم بالسوط ، مع أنهم لم يضربوا بسوط ولا عصا ولكنهم عُذبوا بالريح أو الصيحة أو الغرق ، قال الطبري : " كانت نقماً تنزل بهم إما ريحاً تدمرهم ، وإما رجفاً يدمدم عليهم ، وإما غرقاً يهلكهم من غير ضرب بسوط ولا عصا ؛ لأنه كان من أليم عذاب القوم الذين خوطبوا بهذا القرآن الجلد بالسياط ، فكثر استعمال القوم الخبر عن شدة العذاب الذي يعذب به الرجل منهم ، أن يقولوا ضرب فلان بالسياط إلى أن صار ذلك مثلاً ، فاستعملوه في كل معذب بنوع من العذاب الشديد "[٤٤٧] .

قال الفراء : " سوط عذاب هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب تدخل فيه السوط "[٤٤٨] .

- وأما العذاب الذي نزل بقوم عاد فقد ذكر الله تعالى خبر هلاكهم في غير ما آية مجملاً ومفصلاً .

قال تعالى : { فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }[٤٤٩] والأخذ : حوز الشيء وتحصيله وهو على ضربين[٤٥٠] :

- الأول : بالتناول نحو قوله تعالى : { مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ }[٤٥١].

([٤٤٦]) سورة الفجر ، آية ٦-١٣ .

([٤٤٧]) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٣٠ ، ص١١٥ .

([٤٤٨]) أبو زكريا يحيى بن يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، **معاني القرآن الكريم** ، ط٢ ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٠م ، ج٣ ص٢٦١ .

([٤٤٩]) سورة المؤمنون ، آية ٤١ .

([٤٥٠]) الفيروز آبادي ، **بصائر ذوي التمييز** ، ج٢ ، ص٥٧ .

([٤٥١]) سورة يوسف ، آية ٧٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الثاني : بالتقرير والآية هنا من هذا النوع فالأخذ هنا في هذا الموضع بمعنى العذاب والعقوبة ، وقال تعالى : { قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ۞ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }[٤٥٢] .

ففي هذه الآيات ذكر الله تعالى هلاكهم والهلاك يطلق على العذاب والموت .

أما تفصيل إهلاكهم فكما قال تعالى : { فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ }[٤٥٣] .

فكان هذا أول ما ابتدأهم العذاب حيث طلبوا السقيا بعد أن كانوا مجدبين فرأوا عارضاً في السماء وظنوه سقيا رحمة ؛ فإذا هو سقيا عذاب[٤٥٤] .

وقال تعالى : { وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ }[٤٥٥] .

والريح الصرصر : هي الشديدة العصوف مع شدة بردها .[٤٥٦]

والحسوم ، أي : المتتابعة[٤٥٧] ، قال ابن كثير : " شبههم الله تعالى بأعجاز النخل الخاوية التي لا رؤوس لها ، وذلك بمثابة الريح كانت تجيء إلى أحدهم فتحمله ، فترفعه في الهواء ، ثم تنكسه على أمِّ رأسه فتشدخه فيبقى جثة بلا رأس .[٤٥٨]

وقال تعالى : { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ }[٤٥٩] .

والأيام النحسات : أي : الأيام المشؤومة .[٤٦٠]

---

(٤٥٢) سورة الشعراء ، آية ١٣٦-١٤٠ .

(٤٥٣) سورة الأحقاف ، آية ٢٤ .

(٤٥٤) ابن كثير ، **قصص الأنبياء** ، ص١١٨ .

(٤٥٥) سورة الحاقة ، آية ٦-٧ .

(٤٥٦) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٢٩ ، ص٣١ .

(٤٥٧) **المصدر ذاته** ، ج٢٩ ، ص٣٢ .

(٤٥٨) ابن كثير ، **قصص الأنبياء** ، ص١٢١ .

(٤٥٩) سورة فصلت ، آية ١٦ .

(٤٦٠) محمد الأمين بن محمد الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) ، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، ط١ الرياض ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ، ج٧ ، ص١٢١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى : { وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۞ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ }(٤٦١) .

حيث وصف الله سبحانه وتعالى الريح في هذا الموضع بالعقيم ، والعقيم هي لا تنتج خيراً فهي عقيم لا خير فيها . وأما قوله تعالى : { إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ } أي كالشيء البالي الفاني الذي لا ينتفع به بالكلية(٤٦٢) ، وقال تعالى : { وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ۞ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ }(٤٦٣) .

يخبر الله تعالى في هذه الآيات عن جزاء ومصير الذين استجابوا أمر الله تعالى بعبادته واجتناب الطاغوت ، ومصير أضدادهم من عبدة الطاغوت ومتبعي خطواتها يوم القيامة ، فجزاء الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا إلى الله لهم البشرى في الدنيا وبالجنة في الآخرة { وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى } ، أما جزاء أضدادهم من عبدة الطاغوت ؛ فجزاؤهم جهنم ، فقد حقت عليهم كلمة العذاب .

قال أبو السعود : " فإن المراد بها (كلمة العذاب) قوله تعالى لإبليس { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ }(٤٦٤) وقوله تعالى : { لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ }(٤٦٥)"(٤٦٦).

ثالثاً : الحَيرةُ والتردد :

ومن العقوبات الدنيوية التي يعاقب الله بها الطغاة أنهم يقعون في الحيرة والتردد وقد وردت أكثر من آية تدل على ذلك منها :

قال تعالى : { مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }(٤٦٧) ، وقال تعالى : { وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي

---

(٤٦١) سورة الذاريات ، آية ٤١-٤٢ .

(٤٦٢) ابن كثير ، **قصص الأنبياء** ، ص١٢٢ .

(٤٦٣) سورة الزمر ، آية ١٧-١٩.

(٤٦٤) سورة ص ، آية ٨٥.

(٤٦٥) سورة الأعراف ، آية ١٨.

(٤٦٦) أبو السعود ، **تفسير أبي السعود** ، ج٧ ، ص٢٤٨ .

(٤٦٧) سورة الأعراف ، آية ١٨٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }[٤٦٨] وقال تعالى : { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }[٤٦٩] .

فالعمه : أي : التردد في الأمر من التحير[٤٧٠] . قال القرطبي : { فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } أي: يتحيرون .[٤٧١]

وقال الشوكاني : " ومعنى يعمهون : أي : يتحيرون ، أي : نتركهم يتحيرون في تطاولهم وتكبرهم وعدم قبولهم للحق ، استدراجاً منه سبحانه وخذلاناً "[٤٧٢] .

وقال ابن عاشور : " العمه : انطماس البصيرة وتحير الرأي "[٤٧٣] .

وقال الصابوني : " أي نتركهم في ضلالهم يتخبطون ويترددون متحيرين "[٤٧٤] .

وقد وردت العمه في القرآن سبع مرات، وجميع ما في القرآن من الفعل المضارع – في طغيانهم يعمهون – فالطغاة دائماً يترددون حيارى ضلالاً لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً .

والطغاة يترددون بين الإظهار والإخفاء، أو بين البقاء مع الكفر وتركه إلى الإيمان، فهم حيارى لا يدرون أين يتوجهون ، ولا على أي جهة يميلون ، بسبب طغيانهم وتماديهم في الكفر والمعاصي ؟! [٤٧٥]

رابعاً : حلول غضب الله :

- الغضب : وغضب الرب سبحانه إنكاره على من عصاه فيعاقبه ، وهو يغضب لا كأحد من مخلوقاته عز وجل .[٤٧٦]

قال تعالى : { كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى }[٤٧٧] . ففي هذه الآية يذكر الله تعالى جزاء الذي ، يطغى ويعتدي في الرزق فيخل بشكره تعالى ويتعدى ، فيسرف في الرزق من غير حق ، ويبطر ويمنع عن المستحق ، وينسى أن الله هو المنعم الوهاب ، فهذا جزاؤه حلول غضب الله عليه في الدنيا ، ومعنى { يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي

([٤٦٨]) سورة يونس ، آية ١١ .

([٤٦٩]) سورة الأنعام ، آية ١١٠ .

([٤٧٠]) الراغب ، **المفردات** ، ص٣٨٩ .

([٤٧١]) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج٧ ، ص٦٦ .

([٤٧٢]) الشوكاني ، **فتح القدير** ، ج١ ، ص٧٥١-٧٥٢ .

([٤٧٣]) ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج١ ، ص٣٩٦ .

([٤٧٤]) الصابوني ، **صفوة التفاسير** ، ج٣ ، ص٩٠ .

([٤٧٥]) بنت الشاطئ ، **الإعجاز البياني** ، ص٥٨١ / وعبد الباقي ، **المعجم المفهرس** ، ص٦٢٠ .

([٤٧٦]) الفيروزآبادي ، **بصائر ذوي التميز** ، ج٤ ، ص١٣٥ .

([٤٧٧]) سورة طه ، آية ٨١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

} ، قال البيضاوي : " فيلزمكم عذابي ويجب لكم "[٤٧٨] . وقال البقاعي : " أي ينزل ويجب فتهلكوا "[٤٧٩] ، والذي يحل عليه غضب الله تعالى فقد هوى ، أي : سقط من علو وقد استعير هنا الذي لا نهوض بعده[٤٨٠] ، فقد تردى وهلك ووقع في الهاوية .

خامساً : الاستدراج والمد :

الاستدراج لغة : الخُداع [٤٨١] ، والدَّرْج:طي الكتاب والثوب واستعير الدرج للموت، فقوله تعالى : { سَنَسْتَدْرِجُهُمْ } سنطويهم طي الكتاب ، عبارة عن إغفالهم ، وقيل : معناه نأخذهم درجة فدرجة .[٤٨٢]

أما أصل المد الجرُّ [٤٨٣] ، وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب ، والمدّ في المكروه ، كقوله تعالى : { وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }[٤٨٤] .

من العقوبات الدنيوية التي يعاقب بها الله تعالى الطغاة عقوبة الاستدراج والمد ؛ فالله يمهل ولا يهمل ، ويملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته !

قال تعالى : { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }[٤٨٥] .

هذه الآيات تتحدث عن المنافقين وصفاتهم ، عندما يلتقون مع المؤمنين يدّعون أنهم مؤمنون ، وأما إذا خلوا إلى شياطينهم من الكفار ، فيخبرونهم أنهم معهم ، ونسوا أن الله مطلع على سرائرهم وخفاياهم .

يقول عبد الله شحاته : " وعبّر عن حالهم مع المؤمنين بالملاقاة ، وعن حالهم مع الشياطين بالخلوة، إيذاناً بأن هؤلاء المنافقين لا أنس لهم بالمؤمنين، ولا طمأنينة منهم إليهم، فهم لا يجالسونهم، ولا يسامرونهم، وإنما كل ما هنالك أن يلقوهم في عرض الطريق، وأما شأنهم مع شياطينهم فهم إليهم يركنون،وإليهم يتسامرون، لذلك هم بهم يخلون"[٤٨٦]؛ فالحق ظاهر، وواضح،أما منهج

([٤٧٨]) البيضاوي ، **أنوار التنزيل** ، ج٢ ، ص٨١ .

([٤٧٩]) البقاعي ، **نظم الدرر** ، ج٥ ، ص٣٥ .

([٤٨٠]) البيضاوي ، **أنوار التنزيل** ، ج٧ ، ص٢٧٥ .

([٤٨١]) الفيروزآبادي ، **القاموس المحيط** ، ص٢٤١ .

([٤٨٢]) الراغب ، **المفردات** ، ص١٦٧ .

([٤٨٣]) الراغب ، **المفردات** ، ص١٨٨ / والسمين ، **عمدة الحفاظ** ، ج٤ ، ص٧٧-٧٨ .

([٤٨٤]) سورة البقرة ، آية ١٥ .

([٤٨٥]) سورة البقرة ، آية ١٤-١٥ .

([٤٨٦]) شحاته ، **التفسير الوسيط** ، ج١ ، ص٦٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشياطين والمنافقين فيحدث في الخفاء، لأنه باطل، هؤلاء يجازيهم الله تعالى ويعاقبهم، بأن يستهزئ بهم ، ويمدّهم في طغيانهم وكفرهم .

قال الزمخشري : " وقد عبر الله تعالى بأنه يستهزئ بهم على سبيل المشاكلة " اتفاق اللفظ واختلاف المعنى" وعبر عن الاستهزاء ، بالفعل المضارع يستهزئ ، ولم يقل مستهزئ لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده ، وقتاً بعد وقت ، وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم "[٤٨٧] .

قال تعالى : { أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ }[٤٨٨] .

أما قوله : { وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }[٤٨٩] . أي : يمهل لهم ويطيل لهم [٤٩٠] ، ومن حكمة وسر مراد الله تعالى ، أنه أضاف الطغيان لضمير المنافقين ، قال ابن عاشور : " أضاف الطغيان لضمير المنافقين ولم يقل في الطغيان بتعريف الجنس كما قال تعالى : { وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ }[٤٩١] ، إشارة إلى تفظيع شأن هذا الطغيان وغرابته في بابه ، وإنهم اختصوا به حتى صار يعرف بإضافته إليهم "[٤٩٢] .

فالله تعالى لا يريد لعباده الكفر ولا يرضه لهم فهم الذين أوقعوا أنفسهم في الطغيان ومجاوزة الحد في الكفر والمعاصي .

سادساً : اللعنة :

اللعنة : الطرد والإبعاد على سبيل السخط ، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة ، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه[٤٩٣] .

قال تعالى : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً }[٤٩٤] .

قال محمد دروزة : " هذه الآية تسجل على اليهود خُلق سوء الأدب نحو الله إذا ما ابتلاهم لمحنة وتناسيهم نعمه المتوالية عليهم ، وارتكاسهم في الكفر والبغي والطغيان عناداً وغيظاً من بعثة النبي ﷺ ووحي القرآن إليه ، ونجاحه في مهمته ، وازديادهم في ذلك ، كلما ازداد نجاحاً ونزل عليه

([٤٨٧]) الزمخشري ، **الكشاف** ، ج١ ، ص٣٧ .

([٤٨٨]) سورة التوبة ، آية ١٢٦ .

([٤٨٩]) سورة البقرة ، آية ١٥ .

([٤٩٠]) السمين ، **عمدة الحفاظ** ، ج٤ ، ص٧٨ .

([٤٩١]) سورة الأعراف ، آية ٢٠٢ .

([٤٩٢]) ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج١ ، ص٢٩٤ .

([٤٩٣]) الراغب ، **المفردات** ، ص٤٥١ .

([٤٩٤]) سورة المائدة ، آية ٦٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآن ، وسعيهم المتواصل في الفساد في الأرض ، وإثارة الفتن والحروب بسبيل النكاية بمن يناصبونه العداء وشفاء غلهم منهم .[٤٩٥]

هؤلاء الطغاة عاقبهم الله تعالى باللعنة ، والطرد من رحمته وسخط عليهم ، قال تعالى : { وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا } بسبب مقالتهم الشنيعة وكفرهم وطغيانهم فقد قالوا أن الله فقير وبخيل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

وعقوبة الطرد من رحمته واللعنة ، عاقب الله تعالى بها أفراداً وأقواماً في هذه الحياة الدنيا كإبليس ، قال تعالى : { وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ }[٤٩٦] ، وكقوم فرعون ، قال تعالى : { وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ }[٤٩٧] .

قال عبد الحميد طهماز : أي : لعنة تلازمهم فكلما ذكرهم الناس وتذكروا ظلمهم وبغيهم لعنوهم ويوم القيامة يقبح الله تعالى وجوههم ويسودها "[٤٩٨] .

سابعا: طغيان الماء :

قال تعالى:{ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۞ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}[٤٩٩]

أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تحزن على ما جرى من قومك فإن النصر قريب والعذاب قادم لا محالة قال تعالى : { وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }[٥٠٠] .

لقد دعا نوح عليه السلام على قومه بعد أن أوحى الله تعالى أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، قال تعالى : { وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ۞ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً }[٥٠١] ، فاستجاب الله تعالى نداء نوح عليه السلام ودعاءه ، وأمره تعالى أن يصنع الفلك وهي السفينة العظيمة ، وأعطاه علامة قدوم العذاب وركوبه في السفينة ، وهي

---

(٤٩٥) محمد عزة دروزة ، **اليهود في القرآن الكريم** ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م ، ص٥٦ .

(٤٩٦) سورة ص ، آية ٧٨ .

(٤٩٧) سورة القصص ، آية ٤٢ .

(٤٩٨) عبد الحميد محمود طهماز ، **عاقبة الطغيان والفساد في سورة القصص** ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، ص٣٥.

(٤٩٩) سورة الحاقة ، آية ١١-١٢ .

(٥٠٠) سورة هود ، آية ٣٦ .

(٥٠١) سورة نوح ، آية ٢٦-٢٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خروج الماء من التنور ، قال تعالى { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ }(٥٠٢) .

لقد جاء أمر الله تعالى وفار التنور ، وأرسل الله تعالى من السماء مطراً لم تعهده الأرض قبلها ولم تمطره بعدها كان كأفواه القرب وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر أرجائها ، كما قال تعالى : { فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۞ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ، وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ }(٥٠٣) . (٥٠٤)

وقال تعالى :{ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ،لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}(٥٠٥) والطغيان : " مستعار لشدته الخارقة للعادة تشبيهاً لها بطغيان الطاغي على الناس تشبيه تقريب فإن الطوفان أقوى شدة من طغيان الطاغي"(٥٠٦).

قال الطبري:" أي:لما كثر الماء فتجاوز حده المعروف، حملهم الله تعالى في السفينة "(٥٠٧).

وفي هذه الآيات يمتن الله تعالى على أهل مكة حيث أن آباءهم وأجدادهم قد أنجاهم الله تعالى من هذا الطوفان ، وأركبهم في السفينة " لأنهم إذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم مِنَّةً عليهم ، وكأنهم هم المحمولون ؛ لأن نجاتهم سبب ولادتهم "(٥٠٨) .

لقد كان إنجاء الله تعالى لنوح عليه السلام والمؤمنين وركوبهم في السفينة وإغراق قومه عليه السلام عبرة وموعظة لمن يعتبر ويتذكر .

قال تعالى : {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ }(٥٠٩) ، يقول الزمخشري : " فإن قلت : لم قيل أذن واعية على التوحيد والتنكير ؟ قلتُ : للإيذان بأن الوعاة منهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم للدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله وأن ما سواها لا يبالي بهم بالة وإن ملئوا ما بين الخافقين "(٥١٠) .

---

(٥٠٢) سورة هود ، آية ٤٠ .

(٥٠٣) سورة القمر ، آية ١٠-١٣ .

(٥٠٤) ابن كثير ، **قصص الأنبياء** ، ص ٩٢ .

(٥٠٥) سورة الحاقة ، آية ١١-١٢ .

(٥٠٦) ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج١٢ ، ص١٢٠ .

(٥٠٧) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٢٨ ، ص٣٣ .

(٥٠٨) الزمخشري ، **الكشاف** ، ج٤ ، ص١٥٠ .

(٥٠٩) سورة الحاقة ، آية ١٢ .

(٥١٠) الزمخشري ، **الكشاف** ، ج٤ ، ص١٥٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثامنا: الإهلاك بالطاغية :

قال تعالى : { كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ، فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ}[٥١١].

قام سيدنا صالح عليه السلام بواجبه فبلغ الدعوة إلى قومه ولكن قومه كذبوه وكذبوا بآيات الله وكذبوا بالقيامة وقاموا بعقر الناقة ، ونصحهم ألا يعقروها فإذا مسوها بسوء فإن عذاب الله قادم لا محالة وبعد أن عقروها وأصروا على كفرهم وعنادهم وطغيانهم ، أخبرهم سيدنا صالح عليه السلام أن عذاب الله تعالى واقع بهم بعد ثلاثة أيام .

قال تعالى : { فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ }[٥١٢] وبعد مضي الثلاثة أيام أوقع الله بهم عقابه فأخذتهم الصيحة عند صباح اليوم الرابع ، قال تعالى : { فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ }[٥١٣] وقال تعالى : { وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }[٥١٤] وقال تعالى : { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ }[٥١٥] .

أي : " كالزرع اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة فيدرسه ويطحنه ويقدمه (تبناً) مدروساً لحيواناته داخل الحظيرة "[٥١٦] .

لقد أخبر الله تعالى في سورة الحاقة أن ثمود قد أهلكهم بالطاغية ، والطاغية تعددت أقوال المفسرين في معناها : فقال بعضهم: " هي طغيانهم وكفرهم بالله "[٥١٧]. وقيل : " الطاغية عاقر الناقة "[٥١٨]. وقال بعضهم كالحسن : " بالطغيان فهي مصدر كالكاذبة والعاقبة والعافية "[٥١٩] . وقال وقال قتادة : " بالصيحة الطاغية المجاوزة للحد أي لحد الصيحات من الهول "[٥٢٠] ، وقال الكلبي : " بالطاغية الصاعقة "[٥٢١] .

---

(٥١١) سورة الحاقة ، آية ٤-٥ .

(٥١٢) سورة هود ، آية ٦٥ .

(٥١٣) سورة الحجر ، آية ٨٣ .

(٥١٤) سورة فصلت ، آية ١٧ .

(٥١٥) سورة القمر ، آية ٣١ .

(٥١٦) الخالدي ، **القصص القرآني** ، ص٢٩٣ .

(٥١٧) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٢٩ ، ص٣١ .

(٥١٨) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج١٨ ، ص٢٥٨ .

(٥١٩) **المصدر ذاته** ، ج١٨ ، ص٢٥٨ .

(٥٢٠) **المصدر ذاته** ، ج١٨ ، ص٢٥٨ .

(٥٢١) **المصدر ذاته** ، ج١٨ ، ص٢٥٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورجح ابن جرير-رحمه الله-القول القائل بأن الطاغية : هي الصيحة ، فيقول : " وإنما قلنا ذلك بأولى بالصواب ؛ لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به ، كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به فقال : { وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ } ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي أهلكها من أجله كان الخبر أيضاً عن عاد كذلك ،إذ كان ذلك في سياق واحد ، وفي إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلاكها كان بالريح الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت "[٥٢٢] .

وقد تعددت سميات العذاب الذي وقع لقوم ثمود ، فقد أخبر الله تعالى أنه عذبهم بالصيحة وآيات بالصاعقة وفي أخرى بالرجفة .

قال تعالى : { فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ }[٥٢٣] .

وقال تعالى : { فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ }[٥٢٤] .

وقال تعالى : { وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }[٥٢٥] .

- قد يسأل سائل هل في هذه الألفاظ تعارض ؟!

وقد أجاب على هذا السؤال الذي طرحناه أستاذنا الفاضل الدكتور صلاح الخالدي في كتابه (**القصص القرآني**) فقال : " ولا تعارض بين هذه الأسماء فكل اسم تُلحظ فيه مرحلة من مراحل ذلك العذاب ودرجة من درجاته . لقد انشقت بهم الأرض فسمعوا لها صيحة قوية وصوتاً عالياً ثم رجفت بهم وحركتهم ثم صعقتهم وأهلكتهم "[٥٢٦] .

لقد طغت ثمود ولم يلتفتوا لتحذير نبيهم صالح عليه السلام فأقدموا على عقر الناقة وكذبوه فأخذهم العذاب وأنجى الله تعالى صالحاً عليه السلام وأتباعه من هذا العذاب وهذه هي سنة الله المطردة أنه يهلك القوم المجرمين وينجي المؤمنين .

قال تعالى : { وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ }[٥٢٧] .

([٥٢٢]) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٢٩ ، ص٣١ .

([٥٢٣]) سورة الأعراف ، آية ٧٨ .

([٥٢٤]) سورة الحجر ، آية ٨٣ .

([٥٢٥]) سورة فصلت ، آية ١٧ .

([٥٢٦]) الخالدي ، **القصص القرآني** ، ج١ ، ص٢٩٣ .

([٥٢٧]) سورة النمل ، آية ٢٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : عاقبة الطغاة في الآخرة :

قضت سنة الله تعالى أن الطغاة لا محالة أنهم سيعاقبون عقاباً أليماً في الدنيا ، وفي الآخرة ، وتتنوع عقوباتهم :

أولاً: التلاوم والتلاعن :

قال تعالى : { احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۞ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ ۞ مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ ۞ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۞ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۞ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ ۞ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ۞ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ۞ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ }[٥٢٨] .

تعرض هذه الآيات عاقبة الطغيان والطغاة يوم القيامة ، وما سيدور بين الاتباع والمتبوعين من جدال وتخاصم وتلاوم وتلاعن ، وما سيصيب الفريقين من حسرة وندامة ، فكل من الفريقين يحاول تحميل الآخر مسؤولية ضلاله ، فالأتباع تتهم المتبوعين بأنهم هم السبب في ضلالهم وكفرهم { قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ } ، قال السدي : " إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ، قال تأتوننا من قبل الحق ، تزينون لنا الباطل ، وتصدوننا عن الحق "[٥٢٩] .

ولكن يكون رد المتبوعين بأن الأتباع لديهم القابلية للكفر والعصيان ، وأنهم لم يجبروهم على متابعتهم ، فهم كانوا قوماً طاغين متجاوزين حدّ الله وأوامره وضالين غالين في معصية الله تعالى ، فلذلك استجابوا لمتبوعيهم واتبعوهم .

قال تعالى : { وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ } قال الصابوني : " أي : ما كان لنا عليكم من قوة وقدرة نقهركم بها على متابعتنا "[٥٣٠] . الأتباع والمتبوعون ظالمون لأنفسهم ، فالأتباع ألغوا حريتهم وإرادتهم ، والمتبوعون نازعوا الله في ألوهيته ، ولذلك يستحقون العذاب جميعاً في نار جهنم ، فلقد اعترف المتبوعون بأنهم كانوا غاوين ضالين مُضلين ، وأقر الأتباع بأنهم اتبعوا سادتهم ، وكبراءهم ، فأضلوهم السبيلا ، وقال تعالى : { فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ، فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ، فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ }[٥٣١] ، قال الزحيلي:" أي : إن التابعين والمتبوعين أو الأتباع والقادة مشتركون حينئذ جميعاً في العذاب لا محالة كما اشتركوا في الضلال والكفر والجميع في النار كل بحسبه "[٥٣٢] . هذا موقف من المواقف التي سجلها الله تعالى في كتابه العزيز لما يدور بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة من تلاوم وتلاعن وهناك آيات تصور حالة التابعين والمتبوعين

([٥٢٨]) سورة الصافات ، آية ٢٢-٣٣ .

([٥٢٩]) الطبري ، **جامع البيان** ، ج١٠ ، ص٣٢ .

([٥٣٠]) الصابوني ، **صفوة التفاسير** ، ج٤ ، ص٨ .

([٥٣١]) سورة الصافات ، آية ٣١-٣٢ .

([٥٣٢]) الزحيلي ، **التفسير المنير** ، ج٢٣ ، ص٧٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يوم القيامة ، كقوله تعالى : { هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۞ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۞ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ۞ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۞ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ ۞ وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۞ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ۞ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ }[٥٣٣] .

هذه الآيات تقرر أن للطاغين شرّ مرجع ومصير، وأنهم سيصلون في نار جهنم، ويكون طعامهم الحميم ، وهو الماء الحار الذي بلغت حرارته أقصى درجاتها ، والغساق : هو ما يسيل من حروقهم وجلودهم من القيح والصديد[٥٣٤] ، " ولهم عذاب آخر غير الحميم والغساق وهو من شكله ، أي : مثل الحميم والغساق وهذه الأنواع الثلاثة هي أزواج وأصناف متتابعة يعذب الله الكافرين الطاغين بها ، والكافرون الطاغون المعذبون بهذه الأصناف الثلاثة في جهنم – الحميم والغساق والآخر من شكله – فريقان فريق المتبوعين من القادة والرؤساء ، وفريق أتباعهم الذين تابعوهم في الدنيا .

وتُدخل الملائكة الفريقين إلى جهنم على دفعتين : هم المتبوعون من القادة والسادة والأتباع.

تأخذ مجموعة من الملائكة المتبوعين أولاً ، وتذهب بهم إلى جهنم ، ثم تأخذ مجموعة أخرى الأتباع بعدهم .

تخاطب الملائكة القادة المتبوعين ، مشيرة إلى الأتباع الذين بعدهم ، { هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ } انظروا خلفكم ، فهاهم أتباعهم وراءكم وهم مقتحمون جهنم معكم وسيدخلونها معكم . فيجيب المتبوعون { لا مَرْحَباً بِهِمْ } : وهذه شتيمة يوجهها المتبوعون لرعيتهم .

قال ابن عباس ﷺ في مَنْ قالوا : { لا مَرْحَباً بِهِمْ } : إن القادة إذا دخلوا جهنم ، ثم دخل بعدهم الأتباع ، قالت الخزنة للكفار : هؤلاء الأتباع فوج مقتحم معكم النار ، وجماعة سيدخلونها كما أنتم دخلتموها . فيقول القادة : لا مرحباً بهؤلاء الأتباع ، لأنهم سيدخلون النار ويصلونها مثلنا .

عندما يسمع الأتباع شتم قادتهم لهم يجيبونهم { قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ } ، فأنتم السبب في ما حل بنا من العذاب ولأنكم أنتم الذين قدمتم لنا الكفر في الدنيا وجعلتمونا نتبعكم .

هذا الموقف من الأتباع لا يعفيهم من المسؤولية ولذلك فهم مشتركون مع متبوعيهم في العذاب الأليم "[٥٣٥] .

ثانياً : دخولهم جهنم :

([٥٣٣]) سورة ص ، آية ٥٥-٦٤ .

([٥٣٤]) الزحيلي ، **التفسير المنير** ، ج٢٣ ، ص٧٨ .

([٥٣٥]) الخالدي ، **الأتباع والمتبوعون في القرآن** ، ص١٤٨-١٥٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى : { إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً ۞ لِلطَّاغِينَ مَآباً ۞ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً }[٥٣٦] .
وقال تعالى : { فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى }[٥٣٧] .
هذه الآيات تشير إلى سنة الله تعالى في الطغاة، وهي إنزال العقاب فيهم في الآخرة، وأنه لن يفلت أحد منهم من العقاب ، وأن مصيرهم ومرجعهم إلى نار جهنم ، وأن الله تعالى يرصد أعمال الطغاة ويسجلها عليهم ويحصي أعمالهم إحصاءً دقيقاً ، ثم ينزل العقاب الذي يستحقونه .

قال تعالى : { إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً ۞ لِلطَّاغِينَ مَآباً ۞ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً }[٥٣٨] ،قال الطبري : " إن جهنم للذين طغوا في الدنيا ، فتجاوزوا حدود الله استكباراً على ربهم كانت منزلاً ومرجعاً يرجعون إليه ، ومصيراً يصيرون إليه يسكنونه "[٥٣٩] .

واللبث : الإقامة بالمكان وهو الإقامة الطويلة فهي أخص من الإقامة فكل لبث إقامة وليس كل إقامة لبث[٥٤٠] ، هؤلاء الطغاة لهم عذاب جهنم { لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً } والأحقاب : جمع حُقَب ، وحُقَب جمع حِقّبة ؛ فالأحقاب جمع الجمع .[٥٤١]

- وقد اختلف المفسرون في مدة الأحقاب :

١. فمنهم من قال: بأن الحُقب ثلاثمائة سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً ، كل يوم ألف سنة وهو قول بشير بن كعب .[٥٤٢]
٢. وقال آخرون : أن الحِقب الواحد سبعون ألف سنة .[٥٤٣]
٣. وقال السمين الحلبي : " الحقبة ثمانون سنة "[٥٤٤] .

والرأي الراجح أن الحقبة مدة من الزمان مبهمة .[٥٤٥]

أما قوله تعالى : { فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى }[٥٤٦] ، قال الطبري : " فأما من عتا على ربه وعصاه واستكبر عن عبادته ، وآثر متاع الحياة الدنيا على كرامة

---

(٥٣٦) سورة النبا ، آية ٢١-٢٣ .
(٥٣٧) سورة النازعات ، آية ٣٧-٣٩ .
(٥٣٨) سورة النبأ ، آية ٢١-٢٣ .
(٥٣٩) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٣٠، ص٨.
(٥٤٠) السمين ، **عمدة الحفاظ** ، ج٤ ، ص٩ .
(٥٤١) الراغب ، **المفردات** ، ص١٤١ .
(٥٤٢) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٣٠ ، ص٨ .
(٥٤٣) **المصدر ذاته** ، ج٣٠ ، ص٨ .
(٥٤٤) السمين ، **عمدة الحفاظ** ، ج١ ، ص٥٠٢ .
(٥٤٥) الراغب ، **المفردات** ، ص١٤١ .
(٥٤٦) سورة النازعات ، آية ٣٧-٣٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآخرة ، وما أعد الله فيها لأوليائه ، فعمل للدنيا ، وسعى لها ، وترك العمل للآخرة ، فإن نار الله التي اسمها الجحيم ، هي منزله ومأواه ومصيره ، الذي يصير إليه يوم القيامة "[٥٤٧] .

وقال محمد عبده : " فأما من طغى وجاوز حدود الله المضروبة في أحكامه ، وفضّل لذائذ الحياة الدنيا على ثواب الآخرة فهذا العذاب مأواه ومستقره "[٥٤٨] .

- من حكم ومراد الله تعالى :

١. أنه قدم ذكر الطغيان على إيثار الحياة الدنيا ؛ لأن الطغيان من أكبر أسباب إيثار الحياة الدنيا فلما كان مسبباً عنه ذكر عقبه مراعاة للترتيب الطبيعي"[٥٤٩].

٢. أنه قال { فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى } والمأوى : هو المكان الذي يؤوى إليه ، ويلاذ به ، ويسكن فيه ، ولم يستعمله القرآن إلا في الحياة الآخرة ، إما مع الجنة ، وإما مع الجحيم ، أو النار ، أو جهنم وبئس المصير "[٥٥٠].

وقال تعالى : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[٥٥١] .

- تحكي هذه الآية عن فريقين هما :

١. الفريق الأول : مؤمن ، فالله وليهم يخرجهم من الظلمات إلى النور ، قال تعالى : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } .

قال الراغب : " الولاء والتوالي أن يحصل شيئان فصاعداً ، حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما ، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ، ومن حيث النسبة ، ومن حيث الدين ، ومن حيث الصداقة ، والنصرة ، والاعتقاد ، والوِلاية : والنصرة ، والوَلاية تولي الأمر ، وقيل الوِلاية والوَلاية نحو الدِّلالة والدَّلالة ، وحقيقة تولي الأمر ، والولي والمَوْلى يستعملان في ذلك كل واحد منهما يقال في معنى الفاعل ، أي : المُوالي ، وفي معنى المفعول ، أي : الموالىَ ، يقال للمؤمن هو وليّ الله عز وجل ، ولم يرد مولاه، وقد يقال : الله تعالى وليّ المؤمنين ومولاهم، فمن الأول : قال الله تعالى : {

---

(٥٤٧) الطبري ، **جامع البيان** ، ج١٢ ، ص٣٢٢ .

(٥٤٨) محمد عماره ، **الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده** ، ج٥ ، ص٣٢٢ .

(٥٤٩) ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ج٣٠ ، ص٧٣ .

(٥٥٠) بنت الشاطئ ، **التفسير البياني** ، ج١ ، ص١٥٦ .

(٥٥١) سورة البقرة ، آية ٢٥٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ... } "[٥٥٢] . قال الألوسي : " { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا } أي : معينهم أو محبهم أو متولي أمورهم "[٥٥٣] . وقال الطبري : " أي : نصيرهم وظهيرهم ويتولاهم بعونه وتوفيقه "[٥٥٤] .

هؤلاء الذين يتولاهم الله يخرجهم من الظلمات إلى النور ، وقد فسر بعض المفسرين الظلمات بأنها الكفر ، والنور بالإيمان .[٥٥٥]

ولكن الألوسي جعلها عامة ، فقال : " والأوْلى أن يحمل الظلمات على المعنى الذي يعم سائر أنواعها ، ويحمل النور أيضاً على ما يعم سائر أنواعه ، ويجعل في مقابله كل ظلمة مخرج منها نور مخرج إليه ، حتى أنه –سبحانه– ليخرج من شاء من ظلمة الدليل إلى نور العيان ، ومن ظلمة الوحشة إلى نور الوصلة،ومن ظلمة عالم الأشباح إلى نور عالم الأرواح،إلى غير ذلك "[٥٥٦].

٢. الفريق الثاني : فريق الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات .

قال المراغي : " أي : والكافرون لا سلطان على نفوسهم إلا لتلك المعبودات الباطلة التي تسوقهم إلى الطغيان ، فإن كانت من الأحياء الناطقة ورأت أن عابديها قد لاح لهم شعاع من نور الحق نبههم إلى فساد ما هم فيه ، وبادرت إلى إطفائه وصرفه عنهم بإلقاء حجب الشبهات ، وإن كانت من غير الأحياء فسدنة هياكلها وزعماء حزبها لا يقصرون في تنميق هذه الشبهات "[٥٥٧] .

لقد جاء لفظ الطاغوت مفرداً مع أن الأولياء جمع. قال الزحيلي : " أولياؤهم الطاغوت : أولياء مبتدأ ، والطاغوت خبره وبما أن خبر المبتدأ يكون على وفق المبتدأ فيجب أن يكون الطاغوت جمعاً ، لأن أولياء جمع والطاغوت تصلح للواحد والجمع "[٥٥٨] .

ومن حكمة وسر مراد الله تعالى أنه أفرد النور ، وجمع الظلمات ؛ لأن الحق واحد لا يتعدد وأما أنواع الضلال والكفر فكثيرة ومتعددة .[٥٥٩] ، هذا الفريق مصيره نار جهنم خالداً فيها قال تعالى :{ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }.

([٥٥٢]) الراغب ، **المفردات** ، ص٦٠٦ .

([٥٥٣]) الألوسي ، **روح المعاني** ، ج٣ ، ص١٤.

([٥٥٤]) الطبري ، **جامع البيان** ، ج٣ ، ص٥٨ .

([٥٥٥]) الزمخشري ، **الكشاف** ، ج١ ، ص٣٨٧ .

([٥٥٦]) الألوسي ، **روح المعاني** ، ج٣ ، ص١٤ .

([٥٥٧]) المراغي ، **تفسير المراغي** ، ج٣ ، ص١٩ .

([٥٥٨]) الزحيلي ، **التفسير المنير** ، ج٢ ، ص٢٢٠ .

([٥٥٩]) قطب ، **في ظلال القرآن** ، ج١ ، ص٢٩٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال القرطبي : " يعني ذلك ذكره بذلك هؤلاء الذين كفروا أصحاب النار أهل النار الذين يخلدون فيها ، يعني : في نار جهنم دون غيرهم من أهل الإيمان إلى غير غاية ولا نهاية أبداً "[٥٦٠].

وقال الرازي : " { أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } يحمل أن يرجع ذلك إلى الكفار فقط ويحمل أن يرجع إلى الكفار والطواغيت معاً ، فيكون زجراً للكل ووعيداً ، لأن لفظ (أولئك) إذا كان جمعاً وصح رجوعه إلى كلا المذكورين وجب رجوعه إليهما معاً ، والله تعالى اعلم بالصواب "[٥٦١] .

([٥٦٠]) القرطبي ، **الجامع الأحكام القرآن** ، ج١ ، ص٤٠٠ .

([٥٦١]) الرازي ، **مفاتيح الغيب** ، ج١ ، ص٣٢٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

أحمد الله أن وفقني لكتابة هذه الرسالة ،وأسأله أن يرزقني علماً نافعاً،وعملاً متقبلاً ، وأن يكتبه في ميزان حسناتي يوم القيامة ، وإني أقدم هذا العمل معتبراً أن ما حصل فيه من توفيق وسداد فهو من الله تعالى ، وما كان فيه من نقص فهو من نفسي ، ومن الشيطان ، وبعد :

فهذه هي أهم النتائج التي تمخضت عن هذه الرسالة :

١. أن الطغيان في اللغة هو مجاوزة الحد في العصيان أو الكفر ، وأن علماء اللغة اتفقوا على أن الجذر الثلاثي لكلمة "طغى" ، إما أن تكون لام الفعل منقلبة عن واو ، أو ياء ، فيقال : طغي طُغياناً ، أو طغو طُغواناً .

٢. أن الطغيان ،إما مادياً،كقوله تعالى:{إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ}وإما معنوياً،وهو أكثر استعمالاً في القرآن الكريم

٣. أن هناك ألفاظ مقاربة لمعنى الطغيان في القرآن الكريم ، كالاستكبار والعلو والعتو والبغي .

٤. أن الطغيان قد ينتج ويصدر عن أفراد ، أو عن جماعات .

٥. أن الطغيان أمر غير مرغوب فيه ، وفيه غلبة وقهر .

٦. أن الطغيان له أسباب يؤدي إلى وجوده وهي : الشعور بالاستغناء ، والتبعية وحب الأبناء الفاسدين ، والعناد والجحود .

٧. أن من نتائج الطغيان ومظاهره : كثرة الفساد ، واتهام الأنبياء والمؤمنين بالسحر والكهانة والشعر والجنون ، والكفر بالآيات والمعجزات .

٨. أن الطغيان يدخل في عدة ميادين ومجالات : كالطغيان في السياسة ، وخاصة طغيان السلطة ، والطغيان في المجالات الاقتصادية ، والاجتماعية ، وغيرها .

٩. أن من سنن الله تعالى إنزال العقاب بالطغاة في الدنيا ، والعقاب الشديد في الآخرة ، وهي سنة ماضية لا تتخلف جرت على الطغاة السابقين ، وستجري على الحاضرين والقادمين ، فلن يفلت أحد منهم من عقاب الله تعالى .

١٠. أن الطغيان متجدد ومتنوع في كل زمان ومكان .

١١. أن الطغيان يتمثل في أفراد وجماعات ، وأن الحل الناجح مع هؤلاء هو بالرجوع إلى القرآن الكريم لمعرفة المنهجية الواضحة والصحيحة في التعامل معهم .

١٢. أن الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله تعالى برضاه ، سواءً أكان شخصاً ، أو صنماً ، أو وثناً ، أو غيره .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً : قائمة المصادر :

١. القرآن الكريم .

٢. إبراهيم بن عمر البقاعي أبو الحسن، ت ٨٨٥هـ ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

٣. أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن ، ت ٣٠٣هـ ، **سنن النسائي** ، ط١ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

٤. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل ، ت ٨٥٢هـ ، **الإصابة في تمييز الصحابة** ط١ ، دار صادر ، ١٣٢٨هـ .

٥. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين ، ت ٣٩٥هـ ، **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط١ ، دار الجليل ، بيروت ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

٦. أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي ، ت ٧٥٦هـ ، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٦م .

٧. إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، ت ٧٧٤هـ ، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م .

٨. إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، ت ٧٧٤هـ ، **قصص الأنبياء** ، تحقيق يوسف علي بديوي ، ط١ ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

٩. جلال الدين السيوطي ، ت ٩١١هـ ، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ ،. ١٩٩٠م.

١٠. جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور أبو الفضل ، ت ٧١١هـ ، **لسان العرب** ، ط٣ دار صادر ، بيروت ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .

١١. الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري أبو هلال ، ت٤٠٠هـ ، **الفروق اللغوية** ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

١٢. الحسين بن محمد الدامغاني أبو عبد الله ، ت ٤٧٨هـ ، **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز** ، تحقيق عربي عبد الحميد علي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٣م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٣. الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني ، ت ٥٠٣هـ **معجم مفردات ألفاظ القرآن** ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

١٤. الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت ١٧٠هـ ، **كتاب العين** ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، ط١ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ ،٢٠٠٣م .

١٥. شهاب الدين السيد محمود الألوسي أبو الفضل ، ت ١٢٧٠هـ ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٦. عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، ت ٥٤٦هـ ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق المجلس الأعلى بفاس ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

١٧. عبد الله بن عمر البيضاوي أبو سعيد ، ت ٧٩١هـ ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، ط١ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

١٨. علي بن أحمد الواحدي النيسابوري أبو الحسين ت ٤٦٨هـ ، **أسباب النزول** ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

١٩. الفضل بن الحسن الطبرسي أبو علي ، **مجمع البيان في تفسير القرآن** ، تحقيق هاشم المحلاتي وآخرون ، ط١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

٢٠. محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية أبو عبد الله ، ت ٧٥١هـ ، **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، ط١ ، دار المنار ، مصر ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

٢١. محمد بن أحمد الأزهري أبو منصور ، ت ٣٧٠هـ ، **تهذيب اللغة** ، تحقيق عبد العظيم محمود ، دار المصرية ، القاهرة .

٢٢. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ت ٦٧١هـ ، **الجامع لأحكام القرآن** ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

٢٣. محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الرحمن ، **الجامع الصحيح** ، تحقيق مصطفى ذيب البغا ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

٢٤. محمد بن جرير الطبري ، ت ٣١٠هـ ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ط١ المطبعة الأميرية ، مصر ،١٣٢٩هـ .

٢٥. محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ت ١٢٥٠هـ ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٦. محمد بن عمر بن الحسين الشهير بالفخر الرازي ، ت ٦٠٦هـ ، **مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير** ، ط١ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٢٥هـ ، ١٩٩٥م .

٢٧. محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، ت ٩٥١هـ ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى تفسير أبي السعود** ، ط١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٢٨. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، ت ٨١٧هـ ، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** ، تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م .

٢٩. محمد بن يوسف أبو حيان ، ت٧٥٤هـ ، **تفسير البحر المحيط** ، ط٢ ، دار الفكر ،بيروت ١٩٨٣م .

٣٠. محمد رشيد رضا ، **تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار** ، ط٢ ، دار المعرفة بيروت .

٣١. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، **تاج العروس** ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ ، ١٩٩٦م .

٣٢. محمود بن عمر الزمخشري ، ت ٥٣٨هـ ، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

٣٣. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري ، ت ٢٦١هـ ، **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٢ م .

٣٤. نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ، ط١ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م .

٣٥. يحيى بن يحيى بن زياد الفراء أبو زكريا ، ت٢٠٧ هـ ، **معاني القرآن الكريم** ، ط٢ عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٠م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : قائمة المراجع :

١. أبو الأعلى بن أحمد بن الحسن المودودي ، **فرعون في القرآن** ، ترجمة وتعريب أحمد إدريس ، دار المختار الإسلامي ، القاهرة .

٢. أحمد الزيات وآخرون ، **مجمع اللغة العربية** ، ط١ ، مطبعة المكتبة العلمية ، طهران .

٣. أحمد بهجت ، **فرعون والطغيان السياسي** ، ط١ ، دار العصر الحديث ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

٤. أحمد مصطفى المراغي ، **تفسير المراغي** ، ط١ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٩٨٩م.

٥. إمام عبد الفتاح إمام ، **الطاغية** ، ط٣ ، مكتبة مدبولي ، مصر ، ١٩٩٧م .

٦. جاسم الياسين وآخرون ، **رسائل فتيان الدعوة** ، ط١ ، مؤسسة الحكمة ، الكويت ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

٧. جمعة أمين عبد العزيز ، **الدعوة قواعد وأصول** ، ط١ ، دار الدعوة ، مصر ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

٨. حسن البنا ، **رسالة الجهاد** ، ط١ ، دار الأرقم ، عمان ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م .

٩. سعيد محمد بابا سيلا ، **أسباب هلاك الأمم السالفة** ، ط١ ، دار الجوزية ، ٢٠٠٠م .

١٠. سيد قطب ، **في ظلال القرآن الكريم** ، ط٢٥ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

١١. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، **الأتباع والمتبوعون في القرآن** ، ط١ ، دار المنار ، عمان ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م.

١٢. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث** ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٨م .

١٣. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، **التفسير البياني للقرآن الكريم** ، ط٤ ، دار المعارف مصر ، ١٩٧٤م .

١٤. عبد الحميد محمود طهماز ، **عاقبة الطغيان والفساد في سورة القصص** ، ط١ ، دار القلم دمشق ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

١٥. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، **العقيدة الإسلامية وأسسها** ، ط٩ ، دار القلم ، دمشق ١٩٩٦م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٦. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، **معارج التفكير ودقائق التدبر** ، ط١ ، دار القلم دمشق ، ٢٠٠٠م .

١٧. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **فقه الدعوة إلى الله**، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .

١٨. عبد الكريم زيدان ، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية** ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .

١٩. عبد الله شحاته ، **تفسير القرآن الكريم** ، ط١ ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

٢٠. علي أحمد علي ، **التفسير الموضوعي لآيات الحرب والسلم في القرآن الكريم** ، ط١ دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .

٢١. علي العتوم ، **حركة الردة** ، ط١ ، مكتبة الرسالة ، عمان ، ١٩٨٧م .

٢٢. فضل حسن عباس ، **خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة** ، ط٣ ، دار الفرقان عمان ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

٢٣. فضل حسن عباس ، **قصص القرآن الكريم** ، ط١ ، دار الفرقان ، عمان ، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .

٢٤. محمد أبو زهرة ، **زهرة التفاسير** ، ط١ ، دار الفكر العربي ، مصر .

٢٥. محمد أحمد جاد المولى ، **قصص القرآن** ، ط١ ،دار القلم العربي ، حلب ، ١٩٩٢م .

٢٦. محمد الطاهر بن عاشور ، **التحرير والتنوير** ، ط١ ، الدار التونسية ، تونس ، ١٩٨٤م.

٢٧. محمد جواد مغنية ، **التفسير الكاشف** ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١م .

٢٨. محمد رشيد رضا ، **تفسير المنار** ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٤٢هـ .

٢٩. محمد سليمان الأشقر ، **زبدة التفسير** ، ط٣ ، دار الهجرة ، السعودية ، ١٤١١هـ ١٩٩١م .

٣٠. محمد سيد طنطاوي ، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، ط١ ، دار نهضة مصر ، مصر ١٩٩٨م .

٣١. محمد سيد طنطاوي ، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة** ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٩٧م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٢. محمد عبد القادر أبو فارس ، **إن فرعون علا في الأرض** ، ط١ ، دار الفرقان ، عمان ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .

٣٣. محمد عبد القادر أبو فارس ، **الابتلاء والمحن في الدعوات** ، ط١ ، دار الفرقان ، عمان ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٣٤. محمد عزة دروزة ، **التفسير الحديث** ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، ١٣٨١هـ ١٩٦٢م .

٣٥. محمد عزة دروزة ، **اليهود في القرآن الكريم** ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .

٣٦. محمد عفيف الزعبي ، **مختصر سيرة ابن هشام** ، ط٥ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

٣٧. محمد علي الصابوني ، **صفوة التفاسير** ، ط٩ ، دار الصابوني ، القاهرة .

٣٨. محمد عمارة ، **الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي** ، ط١ ، الهيئة المصرية ، مصر ١٩٧٠م .

٣٩. محمد عمارة ، **الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده** ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، مصر ، ١٩٧٠م .

٤٠. محمد فؤاد عبد الباقي ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، ط١ ، دار الحديث القاهرة ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٤١. مصطفى مسلم ، **مباحث في التفسير الموضوعي** ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م .

٤٢. نادي بن محمود حسن ، **المقبول من أسباب النزول** ، ط١ ، مطبعة الأمانة ، مصر ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

٤٣. وهبة الزحيلي ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ، ط١ ، دار الفكر بيروت ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

Tyrancy Verces in the Quran Kareem
Thematic study

Abstract :
This study aimed for studying the Tyranny concept in the Quran Kareem, upon that I tried to follow those verses that used the root verb "Tagga" and it's derivations in the Quran Kareem and I was able to conclude that it has been. Thirty nine places where this word was used in the Quran Kareem.
Also I was able to discuss the Tyranny meaning from a linguistic point of view which meant the break of the accepted limit or the breaking of faith by disobedience and atheism by depending upon the famous Arab dictionaries.
Also based upon my dealing with these verses I was able to conclude that Tyranny has it is reasons and aspects. and that Tyranny can result from Individuals or groups and I talked about the way of dealing with these Individuals and groups who break or violate their limit in the Quran Kareem.
Also this study showed that our mighty god's method of dealing with tyranny is by punishing tyranny and tyrants in this life or the life after here.
The study also talked about tyrants from both linguistic and religions sides and the interpreters view or explanations for that concept. also this study recommended that we must go back for the Quran Kareem to be able to conclude the faith values and lessons that we can get from the stories of the tyrant individuals or groups and I talked about the study- at the end-that it isn't a repetition for the past but a complement and meaningful at the same side.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com